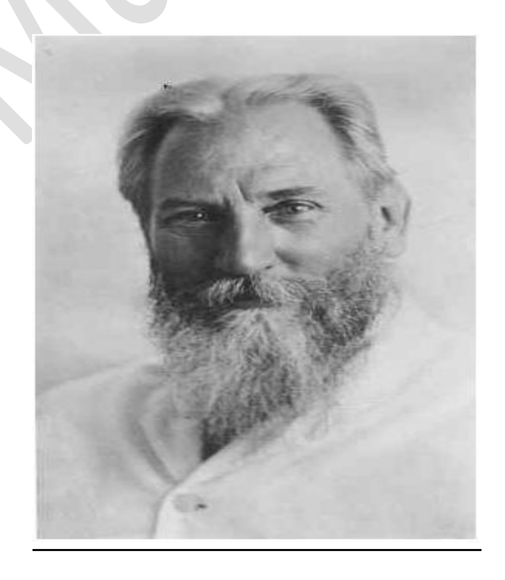
الاستبصار

لمؤلفه: سي.دبليو. لدبيتير

اعداد وضبط وترتيب: The Master Library





شعار المكتبة التي قامت بترتيب الكتاب وتحويله للعربية

تاريخ نشر الكتاب بالعربية: 2025/ تاريخ نشر الكتاب الأصلي: 1899

مقدمة المنقح:

هذا الكتاب، يعد من أهم الكتب التي تتحدث عن الاستبصار، وهو كتاب لسي دبليو ليدبيتر، الذي كان يعد من أتباع هيلينا بلافاتسكي.

الكتاب واقع ضن نطاق الملكية العامة.

زيد نائل العدوان (القائم على المكتبة)

للتواصل: zaidadwan@gmail.com

الفهرس:

الفصل الأول: ماهية الاستبصار

الاستبصار لا يعني حرفيًا سوى "الرؤية الواضحة"، وهي كلمة أُسيء استخدامها كثيرًا، بل وتدهورت إلى حد استخدامها لوصف حيلة أحد المشعوذين في برنامج منوعات. وحتى في معناها الأضيق، فإنها تغطي نطاقًا واسعًا من الظواهر، تختلف اختلافًا كبيرًا في طبيعتها، مما يجعل من الصعب تقديم تعريف موجز ودقيق لها. وقد أُطلق عليها اسم "الرؤية الروحية"، ولكن لا يوجد تعريف أكثر تضليلًا من ذلك، ففي الغالبية العظمى من الحالات، لا توجد قدرة مرتبطة بها تستحق هذا الاسم الرفيع.

ولغرض هذه الرسالة، ربما يمكننا تعريفها بأنها القدرة على رؤية ما هو مخفي عن البصر المادي العادي. سيكون من الأفضل افتراض أنها غالبًا ما تكون مصحوبة بما يُسمى الاستبصار، أو القدرة على سماع ما لا يُسمع للأذن البشرية العادية؛ وسنعتبر عنواننا في هذه الحالة مُغطيًا لهذه القدرة أيضًا، لتجنب خرق استخدام كلمتين طويلتين باستمرار حيث تكفي كلمة واحدة.

اسمحوا لي أن أوضح نقطتين قبل أن أبدأ. أولًا، أنا لا أكتب لمن لا يؤمنون بوجود شيء يُسمى الاستبصار، ولا أسعى لإقناع من يشك في الأمر. في عمل صغير كهذا، لا مجال لذلك؛ يجب على هؤلاء الأشخاص دراسة الكتب العديدة التي تحتوي على قوائم الحالات، أو إجراء تجارب لأنفسهم على أسس التنويم المغناطيسي. أنا أتوجه بنفسي إلى الطبقة الأكثر تعليمًا التي تعرف أن الاستبصار موجود، والمهتمة بالموضوع بما يكفي لتكون سعيدة بالمعلومات المتعلقة بأساليبه وإمكانياته؛ وأؤكد لهم أن ما أكتبه هو ثمرة دراسة وتجربة متأنية، وأنه على الرغم من أن بعض القدرات التي سأصفها قد تبدو جديدة ورائعة لهم، إلا أنني لا أذكر أيًا منها إلا وقد رأيتُ أمثلةً عليها بنفسي.

ثانيًا، مع أنني سأسعى جاهدًا لتجنب التفاصيل الفنية قدر الإمكان، إلا أنني أكتب في الأساس لطلاب الثيوصوفية، فسأشعر أنني

1

حرٌّ أحيانًا في استخدام المصطلحات الثيوصوفية العادية، حرصًا على الإيجاز ودون شرح مُفصّل، والتي قد أفترض أنهم على دراية بها.

إذا وقعت هذه الوثيقة في أيدي أي شخص يُشكّل استخدامه العرضي لهذه المصطلحات صعوبةً عليه، فلا يسعني إلا أن أعتذر لهم وأحيلهم للحصول على هذه التفسيرات الأولية إلى أي عمل ثيوصوفي أساسي، مثل كتاب السيدة بيسانت "الحكمة القديمة" أو "الإنسان وأجساده". الحقيقة هي أن النظام الثيوصوفي بأكمله مترابطٌ بشكلٍ وثيق، وأن أجزائه المختلفة مترابطةٌ بشكلٍ

كبير، لدرجة أن تقديم شرحٍ وافٍ لكل مصطلحٍ مُستخدمٍ يتطلبُ أطروحةً شاملةً عن الثيوصوفية كمقدمةٍ حتى لهذا السرد الموجز عن الاستبصار.

ولكن قبل أن نتمكن من تقديم شرحٍ مُفصّلٍ للاستبصار بشكلٍ مفيد، سيكون من الضروري أن نُخصّص بعض الوقت لبعض الاعتبارات الأولية، حتى نتمكن من تصوّر بعض الحقائق العامة حول المستويات المختلفة التي يُمكن من خلالها ممارسة الرؤية الاستبصارية، والشروط التي تجعل ممارستها ممكنة. يُؤكد لنا الأدب الثيوصوفي باستمرار أن جميع هذه القدرات العليا ستكون في الوقت الحاضر إرثًا للبشرية جمعاء - وأن قدرة الاستبصار، على سبيل المثال، كامنة في كل فرد، وأن أولئك الذين تتجلى فيهم بالفعل يتقدمون علينا قليلًا في هذا الفرد تحديدًا. هذا القول صحيح، ومع ذلك يبدو غامضًا وغير واقعي لغالبية الناس، لمجرد أنهم يعتبرون هذه القدرة شيئًا مختلفًا تمامًا عن أي شيء اختبروه من قبل، ويشعرون بثقة تامة بأنهم، على أي حال، ليسوا على مسافة قابلة للقياس من تطورها.

قد يساعدنا على تبديد هذا الشعور بعدم الواقعية أن نحاول فهم أن الاستبصار، كغيره من الأشياء في الطبيعة، هو في الأساس مسألة اهتزازات، وهو في الواقع ليس سوى امتداد لقوى نستخدمها جميعًا كل يوم من حياتنا. نحن نعيش طوال الوقت محاطين ببحر شاسع من الهواء والأثير، يتداخل الأخير مع الأول، كما يفعل مع كل مادة فيزيائية؛ وعن طريق اهتزازات هذا البحر الشاسع من المادة، تصل إلينا الانطباعات من الخارج. هذا ما نعرفه جميعًا، ولكن ربما لم يخطر ببال الكثير منا أن عدد هذه الاهتزازات التي نستطيع الاستجابة لها ضئيل للغاية في الواقع.

من بين الاهتزازات فائقة السرعة التي تؤثر على الأثير، يوجد جزء صغير - جزء صغير جدًا - تستطيع شبكية العين البشرية الاستجابة له، وهذه الاهتزازات تحديدًا تُنتج فينا الإحساس الذي نسميه الضوء. أي أننا لا نستطيع رؤية إلا الأشياء التي ينبعث منها الضوء.

يمكن لهذا النوع من الاهتزازات إما أن يصدر أو ينعكس. وبنفس الطريقة، تستطيع طبلة الأذن البشرية الاستجابة لنطاق صغير جدًا من الاهتزازات البطيئة نسبيًا - بطيئة بما يكفي للتأثير على الهواء المحيط بنا، وبالتالي فإن الأصوات الوحيدة التي نسمعها هي تلك الصادرة عن أجسام قادرة على الاهتزاز بمعدل معين ضمن هذا النطاق. وفي كلتا الحالتين، من المعروف علميًا أن هناك عددًا كبيرًا من الاهتزازات فوق هذين القسمين وتحتهما، وبالتالي هناك الكثير من الضوء الذي لا نستطيع رؤيته، وهناك العديد من الأصوات التي لا تسمعها آذاننا. في حالة الضوء هذه، يُلاحظ تأثير هذه الاهتزازات الأعلى والأدنى بسهولة في التأثيرات التي تُحدثها الأشعة الضوئية في أحد طرفي الطيف والأشعة الحرارية في الطرف الآخر. وفي الواقع، توجد اهتزازات بكل درجة سرعة يمكن تصورها، تملأ المساحة الشاسعة التي تفصل بين

موجات الصوت البطيئة وموجات الضوء السريعة؛ وليس هذا كل شيء، فهناك بلا شك اهتزازات أبطأ من اهتزازات الصوت، وعدد لا نهائي منها أسرع من تلك التي نعرفها بالضوء. وهكذا نبدأ في فهم أن الاهتزازات التي نرى ونسمع من خلالها ليست سوى مجموعتين صغيرتين من بضعة أوتار مختارة من قيثارة ضخمة ذات امتداد لا نهائي تقريبًا، وعندما نفكر في مقدار ما تمكنا من تعلمه واستنتاجه من استخدام تلك الأجزاء الدقيقة، نرى بشكل غامض ما قد يكون أمامنا من إمكانيات إذا تمكنا من استخدام هذا الكل الشاسع والرائع.

وهناك حقيقة أخرى يجب مراعاتها في هذا الصدد وهي أن البشر المختلفين يختلفون اختلافًا كبيرًا، وإن كان ذلك ضمن حدود ضيقة نسبيًا، في قدرتهم على الاستجابة حتى للاهتزازات القليلة جدًا التي في متناول حواسنا الجسدية. أنا لا أشير إلى حدة البصر أو السمع التي تمكن شخصًا ما من رؤية شيء أضعف أو سماع صوت أضعف من شخص آخر؛ ليس الأمر في قوة البصر، بل في مدى قابلية الرؤية. على سبيل المثال، إذا أخذ أحدهم منشورًا جيدًا من ثنائي كبريتيد الكربون، وطرح به طيفًا واضحًا على ورقة بيضاء، ثم طلب من عدد من الأشخاص تحديد الحدود القصوى للطيف كما يظهر لهم على الورقة، فمن المؤكد أنه سيجد أن قدرات رؤيتهم تختلف اختلافًا ملحوظًا. سيرى البعض اللون البنفسجي يمتد إلى أبعد بكثير مما يراه الأغلبية؛ وربما يرى آخرون لونًا بنفسجيًا أقل من معظم الناس، مع اكتساب امتداد مماثل للرؤية عند الطرف الأحمر. وربما يكون هناك قلة ممن يستطيعون الرؤية أبعد من المعتاد من كلا الطرفين، وهؤلاء سيكونون بالتأكيد ممن نسميهم الأشخاص الحساسين - أي الأكثر حساسية لمجموعة كبيرة من الاهتزازات مما هو عليه معظم الناس في عصرنا هذا. في السمع، يمكن اختبار نفس الفرق بأخذ صوت ليس مرتفعًا جدًا بحيث لا يُسمع - على وشك أن يُسمع - واكتشاف عدد الأشخاص القادرين على سماعه من بين عدد معين من الأشخاص. صرير الخفاش مثال مألوف على هذا الصوت، وستُظهر التجربة أنه في أمسية صيفية، عندما يمتلئ الهواء بصرخات هذه الحيوانات الصغيرة الحادة الشبيهة بالإبر، سيكون عدد كبير من الناس فاقدين تمامًا لوعيهم بها، وغير قادرين على سماع أي شيء على الإطلاق.

تُظهر هذه الأمثلة بوضوح أنه لا يوجد حد ثابت لقدرة الإنسان على الاستجابة للاهتزازات الأثيرية أو الجوية، ولكن بعضنا يمتلك هذه القدرة بالفعل على نطاق أوسع من غيره؛ بل سيُكتشف أن قدرة الشخص نفسه تختلف في مناسبات مختلفة. لذلك، ليس من الصعب علينا أن نتخيل أنه قد يكون من الممكن للإنسان أن يطور هذه القدرة، وبالتالي يتعلم مع مرور الوقت أن يرى الكثير مما هو غير مرئي لإخوانه البشر، ويسمع الكثير مما هو غير مسموع لهم، لأننا نعلم جيدًا أن أعدادًا هائلة من هذه الاهتزازات الإضافية موجودة بالفعل، وهي ببساطة، كما كانت، تنتظر التعرف عليها.

4

تُعطينا التجارب على أشعة رونتجن مثالًا على النتائج المذهلة التي تُنتج عندما يُدرك الإنسان حتى عدد قليل جدًا من هذه الاهتزازات الإضافية، وتُظهر لنا شفافية العديد من المواد التي كانت تُعتبر معتمة حتى ذلك الحين طريقة واحدة على الأقل يمكننا من خلالها تفسير مثل هذا الاستبصار الأولي الذي ينطوي عليه قراءة رسالة داخل صندوق مغلق، أو وصف رسائل موجودة في شقة مجاورة. إن تعلم الرؤية باستخدام أشعة رونتجن، بالإضافة إلى تلك المستخدمة عادةً، يكفي لتمكين أي شخص من أداء عمل سحري من هذا النوع.

حتى الآن، لم نفكر إلا في امتداد الحواس الجسدية البحتة للإنسان؛ وعندما نتذكر أن الجسم الأثيري للإنسان هو في الواقع مجرد الجزء الأدق من بنيته الجسدية، وأن جميع حواسه تحتوي بالتالي على كمية كبيرة من المادة الأثيرية بدرجات متفاوتة من الكثافة، والتي لا تزال قدراتها عملية،رغم وجودها الكامن في معظمنا، سنرى أنه حتى لو اقتصرنا على هذا الخط من التطور وحده، فهناك إمكانيات هائلة من جميع الأنواع تتفتح أمامنا بالفعل.

ولكن إلى جانب كل هذا، نعلم أن الإنسان يمتلك جسدًا نجميًا وجسدًا عقليًا، يمكن لكل منهما أن ينشط بمرور الوقت، ويستجيب بدوره لاهتزازات مادة مستواه، مما ينفتح أمام الأنا، عندما يتعلم العمل من خلال هذه المركبات، عالمان جديدان تمامًا وأوسع بكثير من المعرفة والقوة.

ومع أن هذين العالمين الجديدين موجودان حولنا ويتداخلان بحرية، إلا أنه لا ينبغي اعتبارهما متميزين وغير متصلين تمامًا في الجوهر، بل يذوب أحدهما في الآخر، حيث يشكل أدنى نجمي سلسلة مباشرة مع أعلى جسماني، تمامًا كما يشكل أدنى عقلي بدوره سلسلة مباشرة مع أعلى نجمي. لا يُطلب منا عند التفكير فيها أن نتخيل نوعًا جديدًا وغريبًا من المادة، بل ببساطة أن نفكر في النوع الفيزيائي العادي على أنه مُقسّم بشكل أدق بكثير ويتذبذب بسرعة أكبر بكثير بحيث يُعرّفنا على ما هو عمليًا ظروف وصفات جديدة تمامًا.

ليس من الصعب علينا إذن إدراك إمكانية التوسع الثابت والتدريجي لحواسنا، بحيث نتمكن، بالبصر والسمع، من تقدير اهتزازات أعلى وأدنى بكثير من تلك التي ندركها عادةً. سيظل جزء كبير من هذه الاهتزازات الإضافية ينتمي إلى المستوى الفيزيائي، وسيُمكّننا فقط من الحصول على انطباعات من الجزء الأثيري من ذلك المستوى، الذي يُعتبر حاليًا بمثابة كتاب مغلق بالنسبة لنا. ستظل هذه الانطباعات تُستقبل من خلال شبكية العين؛ بالطبع، ستؤثر هذه الاهتزازات على مادته الأثيرية لا الصلبة، ولكننا مع ذلك قد نعتبرها لا تزال تؤثر على عضو متخصص في استقبالها فقط، وليس على كامل سطح الجسم الأثيري.

ومع ذلك، هناك بعض الحالات الشاذة التي تستجيب فيها أجزاء أخرى من الجسم الأثيري لهذه الاهتزازات الإضافية بنفس سرعة استجابة العين، أو حتى أسرع منها. يمكن تفسير هذه التقلبات بطرق مختلفة، ولكن بشكل أساسي كآثار لتطور نجمي جزئي، حيث سيتضح أن

اللمسات الحساسة للجسم تتوافق دائمًا تقريبًا مع أحد الشاكرات، أو مراكز الحيوية في الجسم النجمي. ومع ذلك، إذا لم يكن الوعي النجمي قد تطور بعد، فقد لا تكون هذه المراكز متاحة على مستواها الخاص، إلا أنها لا تزال قوية بما يكفي لتحفيز المادة الأثيرية التي تتخللها بنشاط أكثر حدة.

وعندما نتعامل مع الحواس النجمية نفسها، فإن أساليب عملها مختلفة تمامًا. لا يمتلك الجسم النجمي أعضاء حسية متخصصة - وهي حقيقة ربما تحتاج إلى بعض التوضيح، إذ يبدو أن العديد من الطلاب الذين يحاولون فهم فسيولوجيته يجدون صعوبة في التوفيق بين العبارات التي قيلت حول التداخل التام بين الجسم المادي والمادة النجمية، والتوافق الدقيق بين المركبتين، وحقيقة أن لكل جسم مادي بالضرورة نظيره النجمي.

كل هذه العبارات صحيحة، ومع ذلك، فمن الممكن تمامًا لمن لا يبصرون نجميًا أن يخطئوا فهمها. لكل مرتبة من المادة الفيزيائية مرتبة مماثلة من المادة النجمية في ارتباط دائم بها - لا تنفصل عنها إلا بجهد كبير جدًا من قوة خفية، وحتى في هذه الحالة، لا تُفصل عنها إلا ما دامت القوة تُبذل لتحقيق ذلك الهدف. ومع ذلك، فإن علاقة الجسيمات النجمية ببعضها البعض أضعف بكثير من علاقة نظيراتها الفيزيائية. ٦

في قضيب من الحديد، على سبيل المثال، لدينا كتلة من الجزيئات الفيزيائية في الحالة الصلبة - أي قادرة على تغيير طفيف نسبيًا في مواقعها النسبية، مع أن كل منها تهتز بسرعة هائلة في مجالها الخاص. يتكون النظير النجمي لهذه المادة مما نسميه غالبًا المادة النجمية الصلبة - أي المادة من المستوى الفرعي الأدنى والأكثر كثافة من المستوى النجمي؛ ومع ذلك، فإن جزيئاتها تغير مواقعها النسبية باستمرار وبسرعة، وتتحرك فيما بينها بسهولة كما تفعل جزيئات السائل على المستوى الفيزيائي. لذلك، لا يوجد ارتباط دائم بين أي جسيم فيزيائي وتلك الكمية من المادة النجمية التي تصادف في أي لحظة أنها تعمل كنظير لها. وينطبق هذا أيضًا على الجسد النجمي للإنسان، والذي يُمكننا اعتباره، لغرضنا الحالي، مكونًا من جزأين: التجمع الأكثر كثافة الذي يشغل نفس موقع الجسد المادي، وسحابة المادة النجمية النادرة التي تُحيط بهذا التجمع. في كلا الجزأين، وبينهما، يحدث في كل لحظة دوران سريع للجسيمات كما وُصف، بحيث عندما نراقب حركة الجزيئات، في الجسد النجمي، يُذكر المرء بمظهر أولئك الذين يغلي الماء بشدة. وبناءً على ذلك، يُفهم بسهولة أنه على الرغم من أن أي عضو من أعضاء الجسد المادي يجب أن يكون له دائمًا نظير من المادة النجمية، إلا أنه لا يحتفظ بنفس الجسيمات لأكثر من بضع ثوانٍ في المرة الواحدة، وبالتالي لا يوجد ما يُقابل تخصص المادة العصبية المادية في الأعصاب البصرية أو السمعية، وما إلى ذلك. لذا، على الرغم من أن العين أو الأذن المادية لها دائمًا نظيرتها من المادة النجمية، فإن تلك القطعة المعينة من المادة النجمية ليست أكثر (ولا أقل) قدرة على الاستجابة للاهتزازات التي تُنتج البصر النجمي أو

السمع النجمي من أي جزء آخر من المركبة. يجب ألا ننسى أبدًا أنه على الرغم من أننا نضطر باستمرار للحديث عن "الرؤية النجمية" أو "السمع النجمي" لنكون مفهومين، فإن كل ما نعنيه بهذه التعبيرات هو القدرة على الاستجابة للاهتزازات التي تنقل إلى وعي الإنسان، وهو يعمل في جسده النجمي، معلومات من نفس طبيعة تلك التي تنقلها إليه عيناه وأذناه وهو في الجسد المادي. ولكن في ظل الظروف النجمية المختلفة تمامًا، لا يلزم وجود أعضاء متخصصة لتحقيق هذه النتيجة؛ فهناك مادة في كل جزء من الجسد النجمي قادرة على هذه الاستجابة، وبالتالي فإن الإنسان الذي يعمل في تلك المركبة يرى الأشياء خلفه، وتحته، وفوقه، بنفس الجودة، دون الحاجة إلى تحريك رأسه.

ومع ذلك، هناك نقطة أخرى يصعب إغفالها تمامًا، وهي مسألة الشاكرات المذكورة أعلاه. يألف طلاب الثيوصوفية فكرة وجود مراكز قوة معينة في كلٍّ من الجسد النجمي والأثيري للإنسان، والتي يجب إحياؤها بدورها بنار الثعبان المقدسة مع تقدم الإنسان في التطور. ومع أن هذه المراكز لا يمكن وصفها بالأعضاء بالمعنى التقليدي للكلمة، إذ لا يرى الإنسان ويسمع من خلالها، كما يفعل في الحياة المادية من خلال عينيه وآذانه، إلا أنه يبدو أن إحيائها يعتمد إلى حد كبير على قدرة كل منها على ممارسة هذه الحواس النجمية أثناء تطورها، مانحًا الجسم النجمي بأكمله القدرة على الاستجابة لمجموعة جديدة من الاهتزازات.

ومع ذلك، لا ترتبط بهذه المراكز أي مجموعة دائمة من المادة النجمية. إنها ببساطة دوامات في مادة الجسم - دوامات تمر عبرها جميع هذه الجسيمات بدورها - وربما تكون نقاطًا تصطدم عندها القوة العليا القادمة من المستويات العليا بالجسم النجمي. حتى هذا الوصف لا يُعطي إلا فكرةً جزئيةً عن مظهرها، فهي في الواقع دواماتٌ رباعية الأبعاد، بحيث تبدو القوة التي تمر عبرها والتي تُسبب وجودها وكأنها تنبع من العدم. ولكن في أيِّ حالة، بما أن جميع الجسيمات تمر بدورها عبر كلٍّ منها، سيتضح أنه من الممكن لكلٍّ منها بدوره أن تُثير في جميع جسيمات الجسم قوةَ استقبال مجموعةٍ مُعينةٍ من الاهتزازات، بحيث تكون جميع الحواس النجمية نشطةً على قدم المساواة في جميع أجزاء الجسم.

ورؤية المستوى العقلي مختلفةٌ تمامًا، ففي هذه الحالة لم يعد بإمكاننا الحديث عن حواسٍ مُنفصلة كالبصر والسمع، بل علينا أن نفترض حاسةً عامةً واحدةً تستجيب بشكلٍ كاملٍ للاهتزازات التي تصل إليها، بحيث عندما يدخل أيُّ شيءٍ إلى إدراكه، فإنه يُدركه تمامًا على الفور، وكأنه يراه ويسمعه ويشعر به ويعرف كل ما يُمكن معرفته عنه من خلال عمليةٍ لحظيةٍ واحدة. ومع ذلك، حتى هذه القدرة الرائعة لا تختلف في الدرجة، بل في النوع، عن تلك التي نمتلكها حاليًا؛ على المستوى العقلي، كما هو الحال في المستوى المادي، حيث لا تزال الانطباعات تنتقل عبر الاهتزازات التي تنتقل من الشيء المرئي إلى الرائي.

على المستوى البوذي، نلتقي لأول مرة بقدرة جديدة تمامًا لا تشترك في شيء مع تلك التي تحدثنا عنها، إذ يدرك الإنسان أي شيء بطريقة مختلفة تمامًا، لا تلعب فيها الاهتزازات الخارجية أي دور. يصبح الشيء جزءًا منه، ويدرسه من الداخل لا من الخارج. لكن لا علاقة للاستبصار العادي بهذه القدرة.

إن تطور أي من هذه القدرات، كليًا أو جزئيًا، يندرج تحت تعريفنا للاستبصار - القدرة على رؤية ما هو مخفي عن البصر المادي العادي. لكن يمكن تطوير هذه القدرات بطرق مختلفة، وسيكون من الجيد أن نقول بضع كلمات عن هذه الخطوط المختلفة. يمكننا أن نفترض أنه لو كان من الممكن للإنسان أن ينعزل أثناء تطوره عن جميع التأثيرات الخارجية، باستثناء ألطفها، وأن يتطور منذ البداية بشكل منتظم وطبيعي تمامًا، فمن المحتمل أن يطور حواسه أيضًا بشكل منتظم. سيجد حواسه الجسدية تتوسع تدريجيًا حتى تستجيب لجميع الاهتزازات الجسدية، إذا كانت المادة الأثيرية والكثافة أعلى، فإن الإحساس سيصل تدريجيًا إلى الجزء الأكثر خشونة من المستوى النجمي، وسيُدرج لاحقًا الجزء الأكثر دقة، حتى تشرق في الوقت المناسب ملكة المستوى العقلي بدورها.

مع ذلك، في الحياة الواقعية، نادرًا ما يُلاحظ تطور منتظم كهذا، وكثير من الناس يمرون بومضات عرضية من الوعي النجمي دون أي يقظة للرؤية الأثيرية على الإطلاق. وهذا الخلل في التطور هو أحد الأسباب الرئيسية لاحتمالية وقوع الإنسان في الخطأ في أمور الاستبصار - وهي احتمالية لا مفر منها إلا من خلال دورة تدريبية طويلة ودقيقة على يد معلم مؤهل.
يدرك طلاب الأدب الثيوصوفي جيدًا وجود مثل هؤلاء المعلمين، فحتى في هذا القرن التاسع عشر المادي، لا يزال القول المأثور ساريًا: "عندما يكون التلميذ مستعدًا، يكون المعلم مستعدًا أيضًا"، وأنه "في قاعة التعلم، عندما يكون قادرًا على الدخول إليها، سيجد التلميذ معلمه دائمًا".
كما يدركون جيدًا أنه فقط في ظل هذا التوجيه يمكن للإنسان أن يطور قواه الكامنة بأمان ويقين، لأنهم يدركون مدى السهولة البالغة التي قد يخدع بها العراف غير المدرب نفسه بشأن معنى وقيمة ما يراه، أو حتى تشويه بصره تمامًا بإخفاء ذلك في وعيه المادي.

لا يعني هذا أن حتى التلميذ الذي يتلقى تعليمًا منتظمًا في استخدام القوى الخفية سيجدها تتكشف تمامًا بالترتيب المنتظم الذي اقترحناه سابقًا كفكرة محتملة. ربما لم يكن تقدمه السابق كافيًا لجعل هذا الطريق أسهل أو أكثر الطرق استحسانًا بالنسبة له؛ ولكنه على أي حال، في يد من هو كفؤ تمامًا ليكون مرشده في تطوره الروحي، وهو يطمئن تمامًا بأن الطريق الذي سيسلكه هو الطريق الأمثل له. ومن المزايا العظيمة الأخرى التي يجنيها أن أي قدرات قد يكتسبها تكون تحت سيطرته تمامًا، ويمكن استخدامه بالكامل وباستمرار عندما يحتاج إليها في عمله الثيوصوفي؛ بينما في حالة الرجل غير المدرب، غالبًا ما تظهر هذه القدرات بشكل جزئي ومتقطع، ويبدو أنها تأتي وتذهب، كما لو كانت، بإرادتها الحرة. قد يُعترض على ذلك بشكل

معقول بأنه إذا كانت القدرة على الاستبصار، كما ذُكر، جزءًا من التطور الخفي للإنسان، وبالتالي علامة على قدر معين من التقدم في هذا الاتجاه، فيبدو من الغريب أن تكون في كثير من الأحيان لدى الشعوب البدائية، أو لدى الجهلاء وغير المثقفين من بيننا - أشخاص من الواضح أنهم غير متطورين تمامًا، من أي وجهة نظر ينظر إليهم المرء. لا شك أن هذا يبدو لافتًا للنظر للوهلة الأولى؛ لكن الحقيقة هي أن حساسية المتوحش أو الجاهل الأوروبي الفظ والمبتذل ليست في الواقع هي نفسها على الإطلاق مثل قدرة أخيه المدرب جيدًا، ولا يتم التوصل إليها بنفس الطريقة.

سيقودنا شرح دقيق ومفصل للفرق إلى تفاصيل فنية معقدة نوعًا ما، ولكن ربما يمكن استخلاص الفكرة العامة للتمييز بين الاثنين من مثال مأخوذ من أدنى مستوى من الاستبصار، على اتصال وثيق بالجانب المادي الأكثر كثافة. للثنائي الأثيري في الإنسان علاقة وثيقة بجهازه العصبي، وأي تأثير على أحدهما ينعكس سريعًا على الآخر. في الظهور المتقطع للرؤية الأثيرية لدى المتوحشين، سواءً في وسط أفريقيا أو في غرب أوروبا، لوحظ أن الاضطراب العصبي المقابل يكاد يكون كاملًا في الجهاز الودي، وأن الأمر برمته خارج سيطرة الإنسان عمليًا - هو في الواقع نوع من الإحساس الهائل الذي ينتمي بشكل غامض إلى الجسم الأثيري بأكمله، وليس إدراكًا حسيًا دقيقًا ومحددًا ينتقل عبر عضو متخصص.

وكما هو الحال في الأجناس اللاحقة ومع التطور الأعلى، تُلقى قوة الإنسان أكثر فأكثر في تطور القدرات العقلية، وعادةً ما تختفي هذه الحساسية الغامضة؛ ولكن في وقت لاحق، عندما يبدأ الإنسان الروحي في الظهور، يستعيد قدرته على الاستبصار. لكن هذه المرة، أصبحت هذه القدرة دقيقةً ومحددةً، خاضعةً لإرادة الإنسان، وتُمارس من خلال عضو حسٍ محدد؛ ويجدر بالذكر أن أي فعل عصبيٍّ مُرتبطٍ بها يُصبح الآن حصريًا تقريبًا في الجهاز الدماغي الشوكي.

وفي هذا الصدد، كتبت السيدة بيسانت: "الأشكال الدنيا من الإدراك النفسي أكثر شيوعًا لدى الحيوانات والبشر غير الأذكياء مقارنةً بالرجال والنساء الذين تتطور لديهم القدرات العقلية تطورًا جيدًا. ويبدو أنها مرتبطة بالجهاز الودي، وليس بالجهاز الدماغي الشوكي. تحتوي الخلايا العقدية الكبيرة ذات النواة في هذا الجهاز على نسبة كبيرة جدًا من المادة الأثيرية، وبالتالي تتأثر بسهولة أكبر بالاهتزازات النجمية الخشنة من الخلايا التي تقل فيها هذه النسبة. ومع تطور الجهاز الدماغي الشوكي، ويصبح الدماغ أكثر تطورًا، ويتراجع الجهاز الودي إلى وضع تابع، وتُهيمن الاهتزازات الأقوى والأكثر نشاطًا للجهاز العصبي الأعلى على الحساسية للاهتزازات النفسية. صحيح أنه في مرحلة لاحقة من التطور، تعود الحساسية النفسية للظهور، ولكنها تتطور بعد ذلك بالارتباط مع المراكز الدماغية الشوكية، وتُوضع تحت سيطرة الإرادة. لكن النفسية الهستيرية وغير المنظمة، التي نرى أمثلةً كثيرةً عليها، ترجع إلى ضعف نمو الدماغ وهيمنة الجهاز العصبي الودي.

11

ومع ذلك، قد تظهر أحيانًا ومضاتٌ عرضية من الاستبصار لدى الرجل المثقف والروحاني، حتى وإن لم يسمع قط بإمكانية تدريب مثل هذه القدرة. في حالته، عادةً ما تدل هذه اللمحات على أنه يقترب من تلك المرحلة في تطوره التي تبدأ فيها هذه القوى بالظهور بشكل طبيعي، وينبغي أن يكون ظهورها حافزًا إضافيًا له للسعي للحفاظ على ذلك المستوى الرفيع من النقاء الأخلاقي والتوازن العقلي الذي بدونه يكون الاستبصار نقمةً لا نعمةً لصاحبه.

بين أولئك الذين لا يتأثرون إطلاقًا وأولئك الذين يمتلكون قوة الاستبصار بالكامل، هناك العديد من المراحل الوسيطة. إحدى هذه المراحل التي تستحق إلقاء نظرة عابرة عليها هي المرحلة التي الإنسان، وإن كان يفتقر إلى ملكة الاستبصار في الحياة العادية، إلا أنه يُظهرها بشكلٍ أو بآخر تحت تأثير التنويم المغناطيسي. هذه حالة تكون فيها الطبيعة النفسية حساسةً بالفعل، لكن الوعي لا يزال غير قادرٍ على العمل فيها وسط مشتتات الحياة المادية المتعددة. يحتاج إلى التحرر من خلال التوقف المؤقت للحواس الخارجية في حالة التنويم المغناطيسي قبل أن يتمكن من استخدام القدرات الإلهية التي بدأت للتو في الظهور. ولكن بالطبع، حتى في حالة التنويم المغناطيسي، هناك درجات لا تُحصى من الوضوح، من المريض العادي الذي يفتقر تمامًا إلى الذكاء إلى الرجل الذي تخضع قدرته البصرية بالكامل لسيطرة المُشغِّل، ويمكن توجيهها أينما يشاء، أو إلى المرحلة الأكثر تقدمًا، حيث عندما يتحرر الوعي، يفلت تمامًا من قبضة المُمغنط، ويحلق في مجالات رؤية سامية حيث يكون خارج نطاقه تمامًا. الوصول.

وهناك خطوة أخرى على نفس المسار، وهي تلك التي لا يكون فيها هذا الكبح التام للجسدي، كما يحدث في الغيبوبة المنومة، ضروريًا، بل إن قوة الرؤية الخارقة، وإن كانت لا تزال بعيدة المنال في حياة اليقظة، تصبح متاحة عندما يكون الجسد مقيدًا بأغلال النوم العادي. في هذه المرحلة من التطور، وقف العديد من الأنبياء والرائين الذين نقرأ عنهم، والذين "حُذِّروا من الله في دراما"، أو تواصلوا مع كائنات أعلى منهم بكثير في سهرات الليل الصامتة.

يتمتع معظم المثقفين من الأعراق العليا في العالم بهذا التطور إلى حد ما: أي أن حواس أجسادهم النجمية

12

في حالة عمل كاملة، وقادرة تمامًا على استقبال الانطباعات من الأشياء والكيانات في مستواهم الخاص. ولكن لكي يستفيدوا من هذه الحقيقة هنا في الجسد المادي، عادةً ما يكون هناك تغييران ضروريان: أولًا، أن تستيقظ الأنا على حقائق المستوى النجمي، و يُحفَّز على الخروج من شرنقته التي تشكّلت بأفكاره في اليقظة، والنظر حوله ليُلاحظ ويتعلم؛ وثانيًا، أن الوعي

سيبقى مُحتفظًا به أثناء عودة الأنا إلى جسده المادي بما يُمكّنه من طبع ذكريات ما رآه أو تعلّمه في دماغه المادي.

إذا حدث أول هذه التغييرات، فإن الثاني ليس ذا أهمية تُذكر، لأن الأنا، الإنسان الحقيقي، سيتمكن من الاستفادة من المعلومات التي سيتم الحصول عليها على تلك الرتبة، حتى وإن لم يكن لديه الرضا بجلب أي ذكرى لها إلى حياته اليقظة هنا.

كثيرًا ما يتساءل الطلاب عن كيفية تجلّي هذه القدرة الاستبصارية لأول مرة في أنفسهم - كيف يُمكنهم معرفة متى وصلوا إلى المرحلة التي تبدأ فيها بوادرها الخافتة الأولى بالظهور. تختلف الحالات اختلافًا كبيرًا لدرجة أنه من المستحيل إعطاء أي إجابة على هذا السؤال تكون قابلة للتطبيق عالميًا.

بعض الناس يبدأ البعض بقفزة، كما هو الحال، وتحت تأثير مُحفِّز غير عادي، يُصبحون قادرين ولو لمرة واحدة على رؤية رؤية مُلهمة؛ وفي كثير من الأحيان، في مثل هذه الحالة، ولأن التجربة لا تتكرر، يُصدِّق الرائي في الوقت المناسب أنه كان ضحية هلوسة في تلك المناسبة. يبدأ آخرون بإدراك مُتقطع للألوان والاهتزازات الرائعة للهالة البشرية؛ ومع ذلك، يجد آخرون أنفسهم، بوتيرة متزايدة، يرون ويسمعون شيئًا لا يسمعه من حولهم؛ ويرى آخرون، مرة أخرى، وجوهًا أو مناظر طبيعية أو غيومًا ملونة تطفو أمام أعينهم في الظلام قبل أن يغرقوا في الراحة؛ بينما ربما تكون التجربة الأكثر شيوعًا إنَّ أكثرَ ما يُميزُ هوَ استِذكارُ مَن يبدأونَ بتَذكُّرِ ما رأوه وسمعوه في العوالمِ الأخرى أثناءَ النومِ بوضوحٍ متزايد.

وبعدَ أن أوضحنا الأمورَ إلى حدٍّ ما، يُمكنُنا الآنَ الشروعُ في دراسةِ ظواهرِ الاستبصارِ المُختلفة.

13

وهي تختلفُ اختلافًا كبيرًا في طبيعتها ودرجتها، بحيثُ ليسَ من السهلِ تحديدُ كيفيةِ تصنيفِها على نحوٍ مُرضٍ. يُمكنُنا، على سبيلِ المثال، ترتيبُها وفقًا لنوعِ الإبصارِ المُستخدمِ - سواءٌ أكانَ عقليًا أم نجميًا أم مجردَ أثيري. يُمكنُنا تخمينُها وفقًا لقدرةِ المُبصِر، مع الأخذِ في الاعتبارِ ما إذا كان مُدرَّبًا أم غيرَ مُدرَّب؛ وما إذا كانَ بصرُه مُنتظمًا وتحتَ سيطرتِه، أم مُتقطِّعًا ومُستقلًّا عن إرادتِه؛ وما إذا كان لا يُمكنُه مُمارستُه إلاَّ تحتَ تأثيرِ التنويمِ المغناطيسي، أو ما إذا كانت تلك المُساعدةُ غيرَ ضروريةٍ له؛ سواء كان قادرًا على استخدام قدراته وهو مستيقظ في الجسد المادي، أم أنها كانت متاحة فقط عندما كان بعيدًا عن ذلك الجسد مؤقتًا في نوم أو غيبوبة.

كل هذه الفروقات مهمة، وعلينا أخذها جميعًا في الاعتبار أثناء مواصلتنا، ولكن ربما يكون التصنيف الأكثر فائدة، في المجمل، هو تصنيف مشابه لما اعتمده السيد سينيت في كتابه

"عقلانية التنويم المغناطيسي" - وهو كتاب، بالمناسبة، ينبغي على جميع دارسي الاستبصار قراءته. عند التعامل مع الظواهر، سنرتبها وفقًا لقدرة البصر المُستخدمة لا وفقًا للمستوى الذي تُمارس فيه، بحيث يُمكننا تجميع أمثلة الاستبصار تحت عناوين مثل:

1 .الاستبصار البسيط - أي مجرد فتح البصر، مما يُمكّن صاحبه من رؤية أي كيانات نجمية أو أثيرية موجودة حوله، ولكن لا يشمل ذلك القدرة على ملاحظة أماكن بعيدة أو مشاهد تنتمي إلى أي وقت آخر غير الحاضر.

2 .الاستبصار في المكان - القدرة على رؤية مشاهد أو أحداث بعيدة عن الرائي في المكان، إما بعيدة جدًا عن الملاحظة العادية أو مخفية بأشياء وسيطة.

3. الاستبصار في الزمان - أي القدرة على رؤية أشياء أو أحداث بعيدة عن الرائي في الزمان، أو بعبارة أخرى، القدرة على النظر إلى الماضي أو المستقبل.

<u>الفصل الثاني: الاستبصار البسيط: كامل</u>

لقد عرّفنا هذا بأنه مجرد انفتاح للبصر الأثيري أو النجمي، يُمكّن صاحبه من رؤية كل ما قد يكون موجودًا حوله على مستويات مُناظرة، ولكنه لا يُصاحبه عادةً قدرة رؤية أي شيء على مسافة بعيدة أو قراءة الماضي أو المستقبل. يكاد يكون من الصعب استبعاد هذه القدرات

الأخيرة تمامًا، لأن البصر النجمي بالضرورة أوسع امتدادًا بكثير من البصر المادي، وغالبًا ما تُرى صورٌ مُجزأة من الماضي والمستقبل عرضًا حتى للمبصرين الذين لا يعرفون كيف يبحثون عنها تحديدًا؛ ولكن هناك فرقٌ حقيقيٌّ بين هذه اللمحات العرضية والقدرة المُحددة على إسقاط البصر إما في المكان أو الزمان.

نجد لدى الأشخاص الحساسين جميع درجات هذا النوع من الاستبصار، بدءًا من الشخص الذي يحصل على انطباع غامض لا يستحق اسم البصر على الإطلاق، وصولًا إلى الامتلاك الكامل للرؤية الأثيرية والنجمية على التوالي. لعل أبسط طريقة هي أن نبدأ بوصف ما سيتضح في حالة هذا التطور الأكمل للقوة، حيث ستتضح حينها حالات امتلاكها الجزئي بشكل طبيعي.

لنبدأ بالرؤية الأثيرية. فهي، كما ذُكر سابقًا، تتمثل ببساطة في قابليتها لسلسلة من الاهتزازات الفيزيائية أوسع بكثير من العادية، ومع ذلك، فإن امتلاكها يُظهر الكثير مما لا يزال يجهله غالبية البشر. دعونا نفكر في التغييرات التي يُحدثها امتلاكها في مظهر الأشياء المألوفة، الحية وغير الحية، ثم ننظر إلى العوامل الجديدة تمامًا التي تُقدمها لنا. ولكن يجب أن نتذكر أن ما سأصفه الآن هو نتيجة امتلاك كامل ومُتحكم فيه تمامًا للقدرة فقط، وأن معظم الحالات التي نصادفها في الحياة الواقعية من المرجح أن تكون بعيدة كل البعد عن ذلك في اتجاه أو آخر. إن التغيير الأبرز الذي يحدث في مظهر الجمادات باكتساب هذه القدرة هو أن معظمها يكاد يكون شفافًا، نظرًا لاختلاف الطول الموجي لبعض الاهتزازات الخمسة عشر التي أصبح الإنسان الآن حساسًا لها. يجد نفسه قادرًا على أداء مهمة "الرؤية من خلال جدار من الطوب" بسهولة بالغة، إذ يبدو جدار الطوب، في نظره المكتسب حديثًا، ذا قوام لا يزيد عن اتساق ضباب خفيف. ولذلك، يرى ما يجري في غرفة مجاورة كما لو لم يكن هناك جدار فاصل؛ ويستطيع وصف محتويات صندوق مغلق بدقة، أو قراءة رسالة مختومة؛ وبقليل من الممارسة، يستطيع العثور على فقرة معينة في كتاب مغلق. هذه المهمة الأخيرة، على الرغم من سهولة تنفيذها تمامًا للرؤية النجمية، تُمثل صعوبة كبيرة لمن يستخدم البصر الأثيري، نظرًا لضرورة النظر إلى كل صفحة من خلال كل الصفحات المتراكبة عليها. ثم يُطرح السؤال: هل يرى الإنسان في ظل هذه الظروف دائمًا بهذه الرؤية غير الطبيعية، أم فقط عندما يرغب في ذلك؟ والجواب هو أنه إذا كانت هذه القدرة متطورة تمامًا، فستكون تحت سيطرته الكاملة، ويمكنه استخدامها أو استخدام بصره العادي متى شاء. فهو ينتقل من أحدهما إلى الآخر بسهولة وطبيعية كما نغير الآن بؤرة أعيننا عندما نرفع أنظارنا عن كتابنا لنتابع حركات شيء ما على بُعد ميل. إنه، كما هو الحال، تركيز للوعي على جانب أو آخر مما يُرى: ورغم أن الإنسان سيتمكن بوضوح تام من رؤية الجانب الذي ركز عليه انتباهه للحظة، فإنه سيظل دائمًا واعيًا بشكل غامض بالجانب الآخر أيضًا، تمامًا كما هو الحال عندما نركز بصرنا على أي شيء في أيدينا، فإننا نرى بشكل غامض الجدار المقابل للغرفة كخلفية. من التغييرات اللافتة الأخرى،

الناتجة عن امتلاك هذا البصر، أن الأرض الصلبة التي يمشي عليها الإنسان تصبح شفافةً له إلى حدٍّ ما، بحيث يتمكن من الرؤية فيها بعمقٍ كبير، كما نرى الآن في المياه الصافية نسبيًا. هذا يُمكّنه من مشاهدة كائنٍ يحفر تحت الأرض، وتمييز عرقٍ من الفحم أو المعدن إن لم يكن بعيدًا جدًا عن السطح، وهكذا.

يبدو أن حدّ البصر الأثيري عند النظر عبر المادة الصلبة يُشبه الحدّ المفروض علينا عند النظر عبر الماء أو الضباب. لا نستطيع الرؤية أبعد من مسافةٍ مُعينة، لأن الوسط الذي ننظر من خلاله ليس شفافًا تمامًا.

16

كما يتغير مظهر الأجسام الحية بشكلٍ كبير بالنسبة للإنسان الذي زادت قدرته البصرية إلى هذا الحد. أجسام البشر والحيوانات شفافةٌ بالنسبة له في الغالب، بحيث يتمكن من مشاهدة حركة أعضائهم الداخلية المختلفة، وتشخيص بعض أمراضهم إلى حدٍّ ما.

كما أن امتداد البصر يجعله قادرًا على إدراك، بشكل أو بآخر، فئات مختلفة من المخلوقات، العنصرية وغيرها، التي لا تستطيع أجسامها عكس أي من الأشعة ضمن حدود المواصفات

كما يُرى عادةً. من بين الكيانات التي تُرى على هذا النحو، ستكون هناك بعض الطبقات الدنيا من أرواح الطبيعة - أولئك الذين تتكون أجسادهم من المادة الأثيرية الأكثر كثافة. تنتمي إلى هذه الفئة تقريبًا جميع الجنيات والأقزام والبراونيز، الذين لا تزال هناك الكثير من القصص المتبقية عنهم بين جبال اسكتلندا وأيرلندا وفي المناطق الريفية النائية في جميع أنحاء العالم.

مملكة أرواح الطبيعة الشاسعة هي في الأساس مملكة نجمية، ولكن لا يزال هناك جزء كبير منها ينتمي إلى الجزء الأثيري من المستوى المادي، وهذا الجزء، بالطبع، من المرجح أن يكون في متناول عامة الناس أكثر من غيره. في الواقع، عند قراءة قصص الجنيات الشائعة، كثيرًا ما نجد دلائل واضحة على أننا نتعامل مع هذه الفئة. سيتذكر أي دارس لحب الجنيات كم مرة ذُكر مرهم أو دواء غامض، يُمكّنه عند وضعه على عيني الرجل من رؤية أعضاء مجتمع الجنيات كلما صادفهم.

تتكرر قصة هذا التطبيق ونتائجه باستمرار، وتأتي من أنحاء مختلفة من العالم، مما لا شك فيه أن هناك بعض الحقيقة وراءها، كما هو الحال دائمًا وراء التقاليد الشعبية العالمية. الآن، لا يمكن لمثل هذا المسح للعينين وحده أن يفتح الرؤية النجمية للإنسان، مع أن مرهمًا معينًا يُدهن على الجسم كله سيساعد الجسم النجمي بشكل كبير على مغادرة الجسد المادي بوعي كامل - وهي حقيقة يبدو أن معرفتها قد استمرت حتى العصور الوسطى، كما يتضح من الأدلة المقدمة

في بعض محاكمات السحر. لكن تطبيقه على العين المادية قد يُحفز حساسيتها بسهولة بالغة، مما يجعلها عرضة لبعض الاهتزازات الأثيرية. ١٧

تستمر القصة مرارًا وتكرارًا في سرد كيف أن الإنسان الذي استخدم هذا المرهم الصوفي عندما يكشف عن بصره الموسع لجنية، تضربه أو تطعنه في عينه، مما يحرمه ليس فقط من الرؤية الأثيرية، بل أيضًا من الرؤية على المستوى المادي الأكثر كثافة. (انظر كتاب "علم الحكايات الخرافية" لإ. س. هارتلين، ضمن سلسلة "العلوم المعاصرة" - أو في الواقع أي مجموعة شاملة من قصص الجنيات تقريبًا). لو كان البصر المكتسب نجميًا، لكان هذا الإجراء غير مجدٍ على الإطلاق، لأنه لا توجد إصابة للجهاز المادي تؤثر على القدرة النجمية؛ ولكن إذا كانت الرؤية الناتجة عن المرهم أثيرية، فإن تدمير العين المادية سيميزها في معظم الحالات على الفور، لأنها الآلية التي تعمل من خلالها.

أي شخص يمتلك هذا البصر الذي نتحدث عنه سيكون قادرًا أيضًا على إدراك النسخة الأثيرية للإنسان؛ ولكن بما أن هذا الجسم يكاد يكون متطابقًا في الحجم مع الجسم المادي، فمن غير المرجح أن يجذب انتباهه إلا إذا كان محميًا جزئيًا في حالة غيبوبة أو تحت تأثير التخدير.

بعد الموت، عندما ينفصل تمامًا عن الجسم الكثيف، سيكون مرئيًا له بوضوح، وكثيرًا ما يراه يحوم فوق القبور الحديثة الإنشاء أثناء مروره في فناء كنيسة أو مقبرة. إذا حضر جلسة روحية، فسيرى المادة الأثيرية تتسرب من جانب الوسيط، ويمكنه ملاحظة الطرق المختلفة التي تستخدمها بها الكيانات المتواصلة.

وهناك حقيقة أخرى لا بد أن تلفت انتباهه قريبًا، وهي اتساع إدراكه للألوان. سيجد نفسه قادرًا على رؤية عدة ألوان جديدة تمامًا، لا تشبه على الإطلاق أيًا من الألوان المدرجة في الطيف كما نعرفه حاليًا، وبالتالي، بالطبع، لا يمكن وصفها بأي شكل من الأشكال. ولن يرى فقط أشياءً جديدةً مصنوعةً بالكامل من هذه الألوان الجديدة، بل سيكتشف أيضًا أن تعديلاتٍ قد أُدخلت على ألوان العديد من الأشياء التي كان على درايةٍ بها تمامًا، وفقًا لما إذا كانت تحتوي على مسحةٍ من هذه الألوان الجديدة ممزوجةً بالقديمة أم لا. بحيث إن سطحين من اللون، يبدوان للعين العادية متطابقين تمامًا، غالبًا ما يُظهران درجاتٍ مختلفةً تمامًا لنظره الثاقب.

لقد تطرقنا الآن إلى بعض التغييرات الرئيسية التي ستُدخل على عالم الإنسان عندما يكتسب بصرًا أثيريًا؛ ويجب أن نتذكر دائمًا أنه في معظم الحالات سيحدث تغييرٌ مماثلٌ في الوقت نفسه في حواسه الأخرى أيضًا، بحيث يكون قادرًا على السمع، وربما حتى الشعور، أكثر من معظم من حوله. والآن، لنفترض أنه بالإضافة إلى ذلك حصل على بصر المستوى النجمي، فما التغييرات الأخرى التي يمكن ملاحظتها؟

حسنًا، ستكون التغييرات كثيرةً وعظيمةً؛ في الواقع، سينفتح أمام عينيه عالم جديد كليًا. لنتأمل عجائبه بإيجاز بنفس الترتيب السابق، ولنرَ أولًا الفرق الذي سيُلاحظ في مظهر الجمادات. في هذه النقطة، يُمكنني أن أبدأ باقتباس إجابة غريبة وحديثة وردت في كتاب "فاهان."

"هناك فرق واضح بين البصر الأثيري والبصر النجمي، ويبدو أن الأخير يتوافق مع البعد الرابع.

"أسهل طريقة لفهم الفرق هي أخذ مثال. إذا نظرت إلى رجل بكلا المنظارين بالتناوب، فسترى الأزرار الموجودة في الجزء الخلفي من معطفه في كلتا الحالتين؛ فقط إذا استخدمت البصر الأثيري فستراها من خلاله، وسترى جانب الساق الأقرب إليك، ولكن إذا نظرت نجميًا، فستراها ليس فقط على هذا النحو، بل كما لو كنت تقف خلف الرجل أيضًا.

"أو إذا كنت تنظر أثيريًا إلى مكعب خشبي مكتوب على جميع جوانبه، فسيكون كما لو كان المكعب زجاجيًا، بحيث يمكنك الرؤية من خلاله، وسترى الكتابة على الجانب المقابل بالكامل إلى الخلف، بينما لن تكون الكتابة على الجانبين الأيمن والأيسر واضحة لك على الإطلاق إلا إذا تحركت، لأنك تراها من الحافة. لكن إذا نظرتَ إليها نجميًا، فسترى جميع جوانبها دفعةً واحدة، ومن أعلى إلى أسفل، كما لو أن المكعب قد سُطِّح أمامك، وسترى كل جزء من داخلها أيضًا - ليس من خلال الأجزاء الأخرى، بل مُسطَّحًا بالكامل. ستنظر إليها من اتجاه آخر، بزوايا قائمة على جميع الاتجاهات التي نعرفها.

"إذا نظرتَ إلى ظهر ساعة أثيريًا، فسترى جميع العجلات من خلالها، والوجه من خلالها، ولكن من الخلف؛ وإذا نظرتَ إليها نجميًا، فسترى الوجه من أعلى إلى أعلى وجميع العجلات مُنفصلة، ولكن لا شيء فوق أي شيء آخر".

19

هنا نجد جوهر التغيير، العامل الرئيسي فيه؛ فالإنسان ينظر إلى كل شيء من منظور جديد تمامًا، خارج كل ما تخيله من قبل. لم يعد يواجه أدنى صعوبة في قراءة أي صفحة في كتاب مغلق، لأنه لم يعد ينظر إليها عبر الصفحات الأخرى التي أمامها أو خلفها، بل ينظر إليها مباشرةً كما لو كانت الصفحة الوحيدة المرئية. لم يعد عمق عرق المعدن أو الفحم عائقًا أمام رؤيته، لأنه لم يعد ينظر عبر عمق الأرض الفاصل. سمك الجدار، أو عدد الجدران الفاصلة بين الراصد والجسم، سيُحدث فرقًا كبيرًا في وضوح الرؤية الأثيرية؛ ولن يُحدث أي فرق على الإطلاق في الرؤية النجمية، لأنه على المستوى النجمي لن يتداخل بين الراصد والجسم.
بالطبع، يبدو هذا متناقضًا ومستحيلًا، وهو أمرٌ يستعصي على التفسير لعقلٍ غير مُدرَّبٍ على استيعاب الفكرة؛ ومع ذلك، فهو صحيحٌ تمامًا. هذا يقودنا مباشرةً إلى قلب مسألة البُعد الرابع

المُعقّدة - مسألةٌ بالغة الأهمية، وإن لم نستطع التظاهر بمناقشتها في المساحة المتاحة لنا. يُنصح من يرغب في دراستها كما تستحق أن يبدأ بكتاب "الرومانسيات العلمية" للسيد سي. إتش. هينتون أو كتاب "عالم آخر" للدكتور أ. ت. سكوفيلد، ثم متابعة العمل الأكبر للمؤلف السابق، "عصر جديد من الفكر". لا يدّعي السيد هينتون فقط قدرته على استيعاب بعض أبسط أشكال البُعد الرابع عقليًا، بل يُشير أيضًا إلى أن أي شخص يُكلّف نفسه عناء اتباع توجيهاته قد يكتسب هذا الفهم عقليًا أيضًا بالمثابرة. لستُ متأكدًا من أن القدرة على القيام بذلك في متناول الجميع، كما يعتقد، لأنه يبدو لي أنه يتطلب قدرة رياضية كبيرة؛ لكن يمكنني على أي حال أن أشهد بأن التيسراكت، أو المكعب رباعي الأبعاد الذي يصفه، هو حقيقة واقعة، فهو شكل مألوف تمامًا في المستوى النجمي. وقد أتقن الآن طريقة جديدة لتمثيل الأبعاد المتعددة بالألوان بدلًا من الرموز الكتابية الاعتباطية. ويؤكد أن نيته ستبسط الدراسة إلى حد كبير، إذ سيتمكن القارئ من التمييز فورًا بالعين المجردة أي جزء أو سمة من التيسراكت. ويُقال إن وصفًا كاملًا لهذه الطريقة الجديدة، مع ألواح، جاهز للنشر، ومن المتوقع صدوره خلال عام، لذا، قد يكون من الأفضل للطلاب الراغبين في دراسة هذا الموضوع الشيق انتظار نشره. أعلم أن السيدة بلافاتسكي، في إشارتها إلى نظرية البعد الرابع، قد عبّرت عن رأي مفاده أنها مجرد طريقة غير متقنة لشرح فكرة النفاذية الكلية للمادة، وأن السيد دبليو. تي. ستيد قد سار على نفس النهج، مقدمًا المفهوم لقرائه تحت عنوان "النفاذية". ومع ذلك، يبدو أن البحث الدقيق والمتكرر والمفصل يُظهر بشكل قاطع أن هذا التفسير لا يغطي جميع الحقائق. إنه وصف مثالي للرؤية الأثيرية، لكن فكرة البعد الرابع، الأبعد والمختلفة تمامًا، كما شرحها السيد هينتون، هي الفكرة الوحيدة التي تُقدم أي نوع من التفسير هنا للحقائق المُلاحظة باستمرار للرؤية النجمية. لذلك، أجرؤ على القول باحترام إنه عندما كتبت السيدة بلافاتسكي كما فعلت، كانت تقصد الرؤية الأثيرية وليس النجوم.

لم يخطر ببالها انطباق العبارة الشديد على هذه القدرة الأخرى والأعلى، التي لم تكن تفكر فيها آنذاك.

إذن، يجب أن نضع امتلاك هذه القوة الخارقة، التي يصعب التعبير عنها، نصب أعيننا دائمًا في كل ما يلي. إنها تجعل كل نقطة في باطن كل جسم صلب مفتوحة تمامًا لنظر الرائي، تمامًا كما تكون كل نقطة في باطن الدائرة مفتوحة لنظر من ينظر إليها من أعلى.

ولكن حتى هذا ليس كل ما تقدمه لصاحبها. فهو لا يرى باطن كل شيء وظاهره فحسب، بل يرى أيضًا نظيره النجمي. لكل ذرة وجزيء من المادة الفيزيائية ذراتها وجزيئاتها النجمية المقابلة، والكتلة المتكونة منها مرئية بوضوح لرؤيتنا. عادةً ما يبرز الجزء النجمي من أي شيء إلى ما وراء جانبه المادي، وبالتالي تُرى المعادن والأحجار وغيرها من الأشياء محاطة بهالة نجمية. سيتضح فورًا أنه حتى في دراسة المادة غير العضوية، يكتسب الإنسان مكاسب

هائلة باكتساب هذه الرؤية. فهو لا يرى فقط الجزء النجمي من الشيء الذي ينظر إليه، والذي كان مخفيًا عنه تمامًا من قبل؛ ولا يرى فقط المزيد من بنيته المادية أكثر مما كان يراه من قبل، بل حتى ما كان مرئيًا له من قبل يُرى الآن بوضوح وصدق أكبر. سيُظهر تأملٌ للحظة أن رؤيته الجديدة أقرب بكثير إلى الإدراك الحقيقي من البصر المادي. على سبيل المثال، إذا نظر نجميًا إلى مكعب زجاجي، فستبدو جميع جوانبه متساوية، كما نعلم أنها كذلك بالفعل، بينما على المستوى المادي، يرى الجانب البعيد في المنظور - أي أنه يبدو أصغر من الجانب الأقرب، وهو بالطبع مجرد وهم بسبب محدوديته المادية. عندما نتأمل المزايا الإضافية التي توفرها الرؤية النجمية في رصد الأجسام الحية، ندرك بوضوح أكبر مزاياها. فهي تُظهر للمستبصر هالة النباتات والحيوانات، وبالتالي، في حالة الأخيرة، تكون رغباتها ومشاعرها، وما قد يدور في خلدها، واضحة أمام عينيه.

ولكن في تعامله مع البشر، سيُقدّر قيمة هذه القدرة أكثر، لأنه غالبًا ما يكون قادرًا على مساعدتهم بفعالية أكبر عندما يسترشد بالمعلومات التي تُقدمها له.

سيكون قادرًا على رؤية الهالة حتى الجسد النجمي، ومع أن ذلك يُبقي الجزء الأعلى من الإنسان مخفيًا عن بصره، إلا أنه سيجد أنه من الممكن، من خلال الملاحظة الدقيقة، أن يتعلم الكثير عن الجزء الأعلى مما هو في متناول يده. إن قدرته على فحص الثنائي الأثيري ستمنحه ميزة كبيرة في تحديد وتصنيف أي عيوب أو أمراض في الجهاز العصبي، بينما سيتمكن، من خلال مظهر الجسم النجمي، من إدراك جميع مشاعر وعواطف ورغبات وميول الشخص الذي أمامه، بل وحتى العديد من أفكاره أيضًا.

وعندما ينظر إلى شخص ما، سيرى أنه محاط بضباب مضيء من الهالة النجمية، يلمع بألوان زاهية متنوعة، ويتغير لونه وتألقه باستمرار مع كل تغيير في أفكاره ومشاعره. سيرى هذه الهالة غارقةً بلون وردي جميل للمودة الخالصة، وزرقة غنية للمشاعر التعبدية، وبنيًا قاسيًا باهتًا للأنانية، وقرمزيًا داكنًا للغضب، وحمرةً قاتمةً للشهوانية، ورماديًا شاحبًا للخوف، وغيومًا سوداء للكراهية والحقد، أو أيٍّ من الدلائل الكثيرة الأخرى التي يسهل على العين الخبيرة أن تحمرّ فيها؛ وبالتالي، سيكون من المستحيل على أي شخص أن يخفي عنه حقيقة مشاعره تجاه أي موضوع.

هذه الدلائل المتنوعة للهالة هي في حد ذاتها دراسة بالغة الأهمية، ولكن لا مجال لديّ هنا لشرحها بالتفصيل. ستجدون شرحًا أوفى لها، إلى جانب عدد من الرسوم التوضيحية الملونة، في عملي حول موضوع "الإنسان المرئي وغير المرئي". لا تُظهر الهالة النجمية له النتيجة المؤقتة للعاطفة التي تمر بها في تلك اللحظة فحسب، بل تُعطيه أيضًا، من خلال ترتيب ألوانها

وتناسبها في حالة من السكون النسبي، دليلًا على المزاج العام وشخصية صاحبها. فالجسم النجمي هو تعبير عن أكبر قدر ممكن من الإنسان يمكن أن يتجلى في ذلك المستوى، بحيث يمكن مما يُرى فيه استنتاج ما ينتمي إلى مستويات أعلى بيقين كبير.

في هذا الحكم على الشخصية، سيستفيد عرافنا كثيرًا من أفكار الشخص التي تتجلى في المستوى النجمي، وبالتالي تقع ضمن نطاقه. الموطن الحقيقي للفكر هو المستوى العقلي، وكل فكرة تتجلى هناك أولاً كاهتزاز للعقل والجسد. ولكن إذا كانت فكرة أنانية بأي شكل من الأشكال، أو إذا كانت مرتبطة بأي شكل من الأشكال بعاطفة أو رغبة، فإنها تنزل فورًا إلى في المستوى النجمي، يتخذ شكلاً مرئياً من المادة النجمية.

في حالة غالبية البشر، يندرج الفكر كله تقريباً تحت أحد هذين العنوانين، بحيث تبدو شخصيتهم بأكملها تقريباً أمام رؤية صديق نجمية واضحة، لأن أجسادهم النجمية وأشكال الفكر التي تشع منها باستمرار ستكون بالنسبة له ككتاب مفتوح كُتبت فيه خصائصهم بإسهاب، حتى أن من يركض يستطيع القراءة. يمكن لأي شخص يرغب في تكوين فكرة عن كيفية ظهور أشكال الفكر للرؤية الاستبصارية أن يقتنع إلى حد ما بدراسة الرسوم التوضيحية المصاحبة لمقال السيدة بيسانت القيّم حول هذا الموضوع في مجلة لوسيفر لشهر سبتمبر 1896.

لقد رأينا شيئاً من التغيير في مظهر كل من الأشياء الحية وغير الحية عند رؤيتها من قبل شخص يتمتع برؤية استبصارية كاملة فيما يتعلق بالمستوى النجمي؛ دعونا الآن نفكر في الأشياء الجديدة تماماً التي سيرى. سيشعر بغنى الطبيعة في جوانب عديدة، لكن انتباهه سينجذب بشكل رئيسي إلى سكان هذا العالم الجديد الأحياء. لا يمكن محاولة شرح مفصل لهم في المساحة المتاحة لنا؛ ولذلك يُرجَى من القارئ الرجوع إلى المجلد الخامس من الأدلة الثيوصوفية. هنا لا يسعنا إلا أن نعدد بالكاد بضع فئات من الجحافل الهائلة من سكان النجوم. سينبهر بالأشكال المتغيرة للمد المستمر للجوهر العنصري، الذي يدور حوله باستمرار، مهددًا في كثير من الأحيان، ولكنه دائمًا ما يتراجع أمام جهد إرادته الحاسم؛ سيُعجب بالجيش الهائل من الكيانات التي تُستدعى مؤقتًا من هذا المحيط إلى وجود منفصل بأفكار ورغبات الإنسان، سواء كانت خيرة أو شريرة. سيشاهد القبائل المتعددة لأرواح الطبيعة في عملهم أو في لعبهم؛ سيتمكن أحيانًا من دراسة التطور الرائع لبعض الطبقات الدنيا في مملكة الديفاس المجيدة، والذي يُقارب تقريبًا المجموعة الملائكية للمصطلحات المسيحية، بمتعة متزايدة.

ولكن ربما يكون سكان العالم النجمي من البشر أكثر اهتمامًا به من أيٍّ منهم، وسيجدهم منقسمين إلى فئتين كبيرتين: أولئك الذين نسميهم الأحياء، والآخرين، ومعظمهم أكثر حيويةً بلا حدود، والذين نُخطئ في تسميتهم بالأموات. سيجد بين الفئة الأولى هنا وهناك واحدًا مستيقظًا واعيًا تمامًا، ربما أُرسل ليُوصل إليه رسالةً ما، أو يفحصه بدقة ليرى مدى تقدمه؛ بينما

سيمضي معظم جيرانه، عندما يكونون بعيدين عن أجسادهم المادية أثناء النوم، كسالى، منغمسين في أفكارهم الخاصة لدرجة أنهم يكاد يكونون غير واعين بما يدور حولهم. سيجد بين جموع الموتى جميع درجات الوعي والذكاء، وجميع درجات الشخصية - فالموت، الذي يبدو لبصرنا المحدود تغييرًا مطلقًا، لا يُغير في الواقع شيئًا من الإنسان نفسه. في اليوم التالي لوفاته، يكون هو نفسه تمامًا كما كان في اليوم السابق، بنفس الشخصية، بنفس الصفات، بنفس الفضائل والرذائل، باستثناء أنه تخلى عن جسده المادي؛ لكن فقدان ذلك لا يجعله بأي حال من الأحوال شخصًا مختلفًا كما لا يختلف خلع المعطف. وهكذا سيجد طالبنا بين الموتى رجالًا أذكياء وأغبياء، طيبي القلوب وكئيبين، جادين وتافهين، روحانيين وحسيين، تمامًا كما هو الحال بين الأحياء.

ولأنه لا يستطيع رؤية الموتى فحسب، بل التحدث معهم أيضًا، فإنه غالبًا ما يكون ذا فائدة كبيرة لهم، ويزودهم بالمعلومات والإرشادات التي هي في غاية الأهمية بالنسبة لهم. كثيرٌ منهم في حالةٍ من الدهشة والحيرة، بل وأحيانًا من الضيق الشديد، لأنهم يدركون حقائق العالم الآخر على عكس الأساطير الطفولية التي تُمثل كل ما يُقدمه الدين الشعبي في الغرب فيما يتعلق بهذا الموضوع بالغ الأهمية؛ ولذلك، فإن من يفهم هذا العالم الجديد ويستطيع تفسير الأمور هو بلا شك صديقٌ وقت الضيق.

ومن نواحٍ أخرى، قد يكون من يمتلك هذه القدرة بالكامل مفيدًا للأحياء والأموات على حدٍ سواء؛ لكنني سبق أن تناولتُ هذا الجانب من الموضوع في كتابي الصغير عن المساعدين الخفيين. فبالإضافة إلى الكيانات النجمية، سيرى جثثًا نجمية - ظلالًا وقشورًا في جميع مراحل التحلل؛ ولكن يكفي ذكر هذه هنا، كما سيجد القارئ الراغب في سردٍ مُفصلٍ لها في دليلينا الثالث (الموت - وما بعده؟) والخامس (المستوى النجمي). من النتائج الرائعة الأخرى التي يُحققها التمتع الكامل بالاستبصار النجمي للإنسان أنه لا يعاني من أي انقطاع في الوعي. فعندما يستلقي ليلًا، يترك جسده المادي للراحة التي يحتاجها، بينما يُمارس أعماله في المركبة النجمية الأكثر راحة. وفي الصباح، يعود إلى جسده المادي ويدخله مجددًا، ولكن دون أي فقدان للوعي أو الذاكرة بين الحالتين، وهكذا، يستطيع أن يعيش، إن جاز التعبير، حياة مزدوجة، وإن كانت واحدة، وأن يُستغلّها استغلالاً نافعاً طوالها، بدلاً من أن يفقد ثلث وجوده في غفلة تامة.

وهناك قوة غريبة أخرى قد يجد نفسه ممتلكاً لها (مع أن السيطرة الكاملة عليها تعود إلى ملكة ديفاكانية أعلى) وهي قدرة تكبير أصغر جسيم فيزيائي أو نجمي إلى أي حجم مرغوب، كما لو كان بمجهر - في حين أن أي مجهر صُنع أو يُحتمل صنعه لا يمتلك حتى جزءاً من ألف من هذه القوة النفسية المكبرة.

بواسطتها، يصبح الجزيء والذرة الافتراضيان اللذان افترضهما العلم واقعين مرئيين وحيّين لدارس علوم السحر، وعند هذا الفحص الدقيق، يجد أنهما أكثر تعقيداً في بنيتهما مما أدركه العالم حتى الآن. كما يُمكّنه من متابعة جميع أنواع الفعل الكهربائي والمغناطيسي وغيرها من الأثيري باهتمام بالغ واهتمام بالغ؛ وعندما يتمكن بعض المتخصصين في هذه الفروع العلمية من تطوير القدرة على رؤية الأشياء التي يكتبون عنها بسهولة بالغة، يمكن توقع بعض الاكتشافات الرائعة والجميلة للغاية.

هذه إحدى القدرات أو السِيدْهي الموصوفة في الكتب الشرقية بأنها تعود على الإنسان الذي يُكرّس نفسه للتطور الروحي، على الرغم من أن الاسم الذي ذُكرت به قد لا يكون واضحًا على الفور. يُشار إليها باسم "قدرة تكبير الذات أو تصغيرها حسب الرغبة"، والسبب في وصف يبدو غريبًا جدًا لعكس الحقيقة هو أن الطريقة التي يتم بها هذا العمل الفذ في الواقع هي بالضبط ما يُشار إليه في هذه الكتب القديمة. فباستخدام آلية بصرية مؤقتة ذات دقة لا تُصدق، يُرى عالم الصغر اللامتناهي بوضوح شديد؛ وبنفس الطريقة (أو بالأحرى العكس)، فإن زيادة حجم الآلة المستخدمة بشكل هائل مؤقتًا تُمكّن من توسيع نطاق رؤية المرء - بالمعنى المادي، وكذلك، لنأمل، بالمعنى الأخلاقي - إلى ما يتجاوز بكثير أي شيء تخيله العلم للإنسان. بحيث يكون التغيير في الحجم في الواقع في نطاق وعي الطالب، وليس في أي شيء خارجه؛ وقد عبّر الكتاب الشرقي القديم، في نهاية المطاف، عن هذه الحالة بدقة أكبر منا.

كما أن القياس النفسي والرؤية الثانية في التفوق من بين القدرات التي سيجدها صديقنا رهن إشارته؛ ولكن سيتم تناولها بشكل أنسب في عنوان لاحق، لأنها في جميع مظاهرها تقريبًا تتضمن استبصارًا إما في المكان أو في الزمان. لقد أشرتُ الآن، وإن كان ذلك بشكل مُبهم، إلى ما قد يراه طالب مُدرّب، يتمتع برؤية نجمية كاملة، في العالم الأوسع الذي عرّفته إليه تلك الرؤية؛ لكنني لم أذكر شيئًا عن التغيير الهائل في سلوكه العقلي الناتج عن اليقين التجريبي بوجود الروح، وبقائها بعد الموت، وقانون الكارما، ونقاط أخرى لا تقل أهمية. يجب الشعور بالفرق بين أعمق قناعة فكرية والمعرفة الدقيقة المُكتسبة من خلال التجربة الشخصية المباشرة حتى يُقدّر.

الفصل الثالث: الاستبصار البسيط: جزئي

ومع ذلك، فإن تجارب العراف غير المدرب - علماً بأن هذه الفئة تشمل جميع العرافين الأوروبيين باستثناء قلة قليلة - عادةً ما تكون بعيدة كل البعد عما حاولتُ الإشارة إليه؛ فهي ستقصر في جوانب عديدة مختلفة - من حيث الدرجة، أو التنوع، أو الديمومة، وقبل كل شيء من حيث الدقة.

على سبيل المثال، قد يكون استبصار الرجل دائمًا، ولكنه جزئي للغاية، لا يمتد إلا ربما إلى فئة أو فئتين من الظواهر التي يمكن ملاحظتها؛ وسيجد نفسه موهوبًا بجزء معزول من الرؤية العليا، دون أن يمتلك ظاهريًا قوى بصرية أخرى من المفترض أن تصاحب هذا الجزء، أو حتى تسبقه. على سبيل المثال، كان لدى أحد أعز أصدقائي طوال حياته القدرة على رؤية الأثير الذري والمادة النجمية الذرية، والتعرف على بنيتهما، سواء في الظلام أو في النور، على أنها متداخلة مع كل شيء آخر؛ ومع ذلك، نادرًا ما رأى كائناتٍ تتكون أجسادها من الأثيرات الدنيا الأكثر وضوحًا أو المادة النجمية الأكثر كثافة، وعلى أي حال، فهو بالتأكيد غير قادر على رؤيتها بشكل دائم. إنه ببساطة يجد نفسه ممتلكًا لهذه القدرة الخاصة، دون أي سبب واضح لتفسيرها، أو أي علاقة واضحة بأي شيء آخر؛ وبعيدًا عن إثبات وجود هذه المستويات الذرية وتوضيح ترتيبها، من الصعب معرفة ما هي فائدتها له في الوقت الحاضر. ومع ذلك، فهذا هو الأمر، وهو بادرةٌ لأشياء أعظم قادمة - لقوى أخرى لا تزال تنتظر التطور.

هناك العديد من الحالات المماثلة - أعني أنها ليست في امتلاك ذلك الشكل الخاص من البصر (وهو فريد من نوعه في تجربتي)، ولكن في إظهار تطور جزء صغير من الرؤية الكاملة والواضحة للمستويات النجمية والأثيرية. في تسع حالات من أصل عشر، مع ذلك، سيفتقر هذا الاستبصار الجزئي إلى الدقة أيضًا - أي أنه سيكون هناك قدر كبير من الانطباعات والاستنتاجات الغامضة عنه، بدلاً من التعريف الواضح واليقين الذي يتمتع به الشخص المُدرَّب. أمثلة على هذا النوع موجودة باستمرار، وخاصة بين أولئك الذين يُسوِّقون أنفسهم على أنهم "استبصار للاختبار والعمل."

28

ثم، مرة أخرى، هناك من يتمتعون باستبصار مؤقت فقط في ظل ظروف خاصة معينة. من بين هؤلاء، توجد أقسام فرعية مختلفة، بعضها قادر على إعادة إنتاج حالة الاستبصار متى شاء من خلال إعادة تهيئة الظروف نفسها، بينما يأتي لدى آخرين بشكل متقطع، دون أي إشارة ملحوظة إلى محيطهم، ولدى آخرين، لا تظهر القوى إلا مرة أو مرتين طوال حياتهم.

29 إلى أول هذه الأقسام الفرعية، ينتمي أولئك الذين يتمتعون بالقدرة على الرؤية فقط في حالة الغيبوبة التنويمية، والذين يعجزون عن رؤية أو سماع أي شيء غير طبيعي في حالة عدم

انبهارهم. قد يصل هؤلاء أحيانًا إلى آفاق معرفية عالية ويكونون دقيقين للغاية في دلالاتهم، ولكن في هذه الحالة، فإنهم عادةً ما يخضعون لدورة تدريبية منتظمة، مع أنهم، لسبب ما، غير قادرين حتى الآن على التحرر من وطأة الكذب الأرضي الثقيل دون مساعدة.

وفي الفئة نفسها، يمكننا وضع أولئك - وخاصة الشرقيين - الذين يكتسبون قدرًا مؤقتًا من الرؤية فقط تحت تأثير بعض المخدرات، أو عن طريق أداء طقوس معينة. أحيانًا يُنوم الشخص نفسه مغناطيسيًا بتكراره، وفي هذه الحالة يصبح إلى حد ما مستبصرًا؛ وفي كثير من الأحيان، يختزل نفسه ببساطة إلى حالة سلبية يمكن فيها لكيان آخر أن يسيطر عليه ويتحدث من خلاله. أحيانًا، لا تهدف طقوسه إلى التأثير على نفسه إطلاقًا، بل إلى استحضار كيان نجمي يُعطيه المعلومات المطلوبة؛ ولكن هذا بالطبع ضرب من السحر، وليس استبصارًا. تُعدّ الأدوية والطقوس أساليب ينبغي على كل من يرغب في الوصول إلى الاستبصار من الجانب الأعلى، واستخدامه لتحقيق تقدمه الشخصي ومساعدة الآخرين، تجنّبها بشدة. ويُعدّ طبيب أو ساحر من أفريقيا الوسطى وبعض الشامان التتار أمثلة جيدة على هذا النوع. أما أولئك الذين نالوا قدرًا معينًا من القدرة الاستبصارية بين الحين والآخر، ودون أي إشارة إلى رغبتهم، فكثيرًا ما كانوا أشخاصًا هستيريين أو شديدي التوتر، وكانت هذه القدرة لديهم، إلى حد كبير، أحد أعراض المرض. أظهر مظهره أن المركبة المادية قد ضعفت لدرجة أنها لم تعد تُمثل أي عائق أمام قدرٍ ضئيلٍ من الرؤية الأثيرية أو النجمية. ومن الأمثلة المتطرفة على هذه الفئة الرجل الذي يُغرق نفسه في حالة من الهذيان الارتعاشي، وفي حالة من الخراب الجسدي المطلق والإثارة النفسية غير النقية الناجمة عن ويلات ذلك المرض الخبيث، يتمكن مؤقتًا من رؤية بعض الكيانات العنصرية وغيرها من الكيانات البغيضة التي اجتذبها حول نفسه من خلال مساره الطويل من الانغماس المهين والوحشي. ومع ذلك، هناك حالات أخرى حيث تكون قوة البصر

ظهرت واختفت دون إشارة واضحة إلى حالة الصحة الجسدية؛ ولكن يبدو من المحتمل أنه حتى في تلك الحالات، لو أمكن رصدها عن كثب بما فيه الكفاية، لُوحظ بعض التغيير في حالة الثنائي الأثيري.

أولئك الذين لم يُبلغوا إلا عن حالة واحدة من الاستبصار طوال حياتهم يُشكلون فئة يصعب تصنيفها على نحو شامل، نظرًا للتنوع الكبير في الظروف المساهمة. هناك الكثيرون بينهم ممن جاءتهم التجربة في لحظة فارقة من حياتهم، عندما يكون من المفهوم أنه ربما كان هناك ارتفاع مؤقت في القدرات العقلية كافٍ لتفسيرها.

في حالة فرع آخر منهم، كانت الحالة الوحيدة هي رؤية شبح، وهو في الغالب لصديق أو قريب، عند لحظة الموت. ثم يُعرض علينا احتمالان للاختيار، وفي كل منهما تكون الرغبة

القوية للرجل المحتضر هي القوة الدافعة. ربما مكّنته تلك القوة من تجسيد ذاته للحظة، وفي هذه الحالة بالطبع لم تكن هناك حاجة للاستبصار؛ أو على الأرجح، ربما أثرت على المُدرك بشكلٍ سحري، فأضعفت قواه الجسدية مؤقتًا وحفزت حساسيته العالية. في كلتا الحالتين، الرؤية نتاج حالة طارئة، ولا تتكرر لمجرد عدم تكرار الشروط اللازمة.

ومع ذلك، تبقى بقايا لا يمكن حلها من الحالات التي تحدث فيها حالة وحيدة من ممارسة الاستبصار القاطع، بينما تبدو لنا المناسبة تافهة وغير مهمة تمامًا. لا يسعنا سوى وضع فرضيات بشأن هذه الحالات؛ فالشروط الحاكمة ليست على المستوى المادي، وسيكون من الضروري إجراء تحقيق منفصل لكل حالة قبل أن نتمكن من التحدث بيقين عن أسبابها. في بعض الحالات، ظهر أن كيانًا نجميًا كان يحاول التواصل، ولم يتمكن إلا من إيصال بعض التفاصيل غير المهمة إلى موضوعه - الجزء المفيد أو المهم مما كان عليه قوله لم يصل إلى وعيه.

في دراسة ظاهرة الاستبصار، سنواجه جميع هذه الأنواع المتنوعة، وغيرها الكثير، ومن شبه المؤكد ظهور عدد من حالات الهلوسة المجردة، والتي يجب استبعادها بعناية من قائمة الأمثلة. يحتاج طالب مثل هذا الموضوع إلى صبر لا ينضب ومثابرة ثابتة، ولكن إذا استمر لفترة كافية، فسيبدأ تدريجيًا في تمييز النظام وراء الفوضى، وسيكتسب تدريجيًا فكرة عن القوانين العظيمة التي يعمل التطور بأكمله في ظلها. سيفيده كثيرًا في جهوده إذا اتبع الترتيب الذي اتبعناه للتو، أي إذا شرع أولًا في التعرّف على الحقائق الفعلية المتعلقة بالمستويات التي يتعامل معها الاستبصار العادي بأكبر قدر ممكن من الدقة. إذا تعلّم ما يمكن رؤيته حقًا بالرؤية النجمية والأثيرية، وما هي حدود كل منهما، فسيكون لديه حينها، إن جاز التعبير، معيار لقياس الحالات التي يلاحظها. وبما أن جميع حالات الرؤية الجزئية يجب بالضرورة أن تندرج ضمن نطاق معين في هذا الكل، فإذا كانت لديه فكرة عامة عن المخطط بأكمله في ذهنه، فسيجد أنه من السهل نسبيًا، مع قليل من الممارسة، تصنيف الحالات التي يُطلب منه التعامل معها. لم نتطرق بعدُ إلى الإمكانيات الأكثر روعةً للاستبصار على المستوى العقلي، وليس من الضروري أن يُقال الكثير، إذ من المستبعد جدًّا أن يجد الباحث أمثلةً عليه إلا بين التلاميذ المُدرَّبين تدريبًا جيدًا في بعضٍ من أرقى مدارس علم الغيب. فهو يفتح لهم عالمًا جديدًا، أوسع بكثير من كل ما هو دونه - عالمٌ يكون فيه كل ما يُمكننا تخيُّله من مجدٍ وروعةٍ أمرًا عاديًا. ويرد وصفٌ لمقدرته العجيبة، ونعيمه الذي لا يُوصف، وفرصه الرائعة للتعلم والعمل، في الجزء السادس من أدلتنا الثيوصوفية، ويمكن للطالب الرجوع إليه.

كل ما يُقدِّمه - على الأقل كل ما يُمكنه استيعابه - في متناول التلميذ المُدرَّب، أما بالنسبة للناظر غير المُدرَّب، فإن لمسه ليس أكثر من مجرد احتمالٍ مُجرَّد. لقد تم ذلك في غيبوبة

تنويمية، لكن حدوثه نادر للغاية، إذ يتطلب مؤهلات شبه خارقة من حيث الطموح الروحي الرفيع ونقاء الفكر والنية المطلقين من جانب كل من الشخص والمشغل.

على نوع من الاستبصار كهذا، وبشكل أكثر اكتمالاً على ما ينتمي إلى المستوى الذي يليه، يمكن إطلاق اسم الرؤية الروحية عليه بشكل معقول؛ وبما أن العالم السماوي الذي يفتح أعيننا عليه يقع حولنا هنا والآن، فمن المناسب أن نشير إليه عابرًا تحت عنوان الاستبصار البسيط، مع أنه قد يكون من الضروري التلميح إليه مرة أخرى.

عند الحديث عن الاستبصار في الفضاء، والذي سننتقل إليه الآن.

<u>الفصل الرابع: الاستبصار في الفضاء: عمديّ</u>

عرّفنا هذا بأنه القدرة على رؤية أحداث أو مشاهد بعيدة عن الرائي في الفضاء، بعيدة جدًا عن الملاحظة العادية. أمثلة هذا كثيرة ومتنوعة، لذا سنرى أنه من المستحسن محاولة تصنيفها بشكل أكثر تفصيلًا. لا يهم الترتيب الذي نعتمده، طالما أنه شامل بما يكفي ليشمل جميع حالاتنا؛ ربما يكون من المناسب تصنيفها تحت التقسيمات العامة للاستبصار العمديّ وغير العمديّ في الفضاء، مع فئة وسيطة يمكن وصفها بأنها شبه عمديّة - وهو عنوان مثير للاهتمام، لكنني سأشرحه لاحقًا.

كما سبق، سأبدأ ببيان ما هو ممكن في هذا السياق للرائي المُدرّب تدريبًا كاملًا، وسأسعى لشرح كيفية عمل قدرته وتحت أي قيود. بعد ذلك، سنجد أنفسنا في وضع أفضل لفهم الأمثلة العديدة للرؤية الجزئية وغير المدربة.

لنبدأ أولاً بمناقشة الاستبصار المتعمد.

يتضح مما سبق ذكره عن قوة الرؤية النجمية أن كل من يمتلكها بكاملها سيتمكن من رؤية أي شيء تقريبًا في هذا العالم يرغب في رؤيته. فالأماكن الأكثر سرية مفتوحة أمام نظره، والعوائق التي تحول دون رؤيته لا وجود لها، نظرًا لتغير وجهة نظره؛ فإذا منحناه القدرة على الحركة في الجسم النجمي، سيتمكن دون صعوبة من الذهاب إلى أي مكان ورؤية أي شيء داخل حدود الكوكب.

في الواقع، هذا ممكن إلى حد كبير بالنسبة له حتى دون الحاجة إلى تحريك الجسم النجمي، كما سنرى لاحقًا.

لنتأمل عن كثب في الطرق التي يمكن من خلالها استخدام هذه الرؤية الخارقة لرصد الأحداث التي تقع عن بُعد.

على سبيل المثال، عندما يرى رجل هنا في إنجلترا، بأدق تفاصيل شيء يحدث في نفس اللحظة في الهند أو أمريكا، كيف يتم ذلك؟ طُرحت فرضية بارعة للغاية لتفسير هذه الظاهرة. اقتُرح أن كل جسم يُصدر إشعاعات باستمرار في جميع الاتجاهات، تُشبه في بعض النواحي أشعة الضوء، وإن كانت أدق منها بكثير، وأن الاستبصار ليس إلا القدرة على الرؤية من خلال هذه الإشعاعات الدقيقة. في هذه الحالة، لن تُشكّل المسافة عائقًا أمام الرؤية، وستكون جميع الأجسام المُتداخلة قابلة للاختراق بواسطة هذه الأشعة، وستكون قادرة على عبور بعضها البعض إلى ما لا نهاية في جميع الاتجاهات دون تشابك، تمامًا كما تفعل اهتزازات الضوء العادي.

مع أن هذه ليست الطريقة التي يعمل بها الاستبصار بالضبط، إلا أن النظرية صحيحة تمامًا في معظم مقدماتها. لا شك أن كل جسم يُطلق إشعاعات في جميع الاتجاهات، وبهذه الطريقة

تحديدًا، وإن كان على مستوى أعلى، يبدو أن السجلات الآكاشية تتشكل. وسيكون من الضروري ذكر شيء عنها في عنواننا التالي، لذا سنكتفي بذكرها الآن. وتعتمد ظواهر القياس النفسي أيضًا على هذه الإشعاعات، كما سيتم شرحه لاحقًا.

ومع ذلك، هناك بعض الصعوبات العملية في استخدام هذه الاهتزازات الأثيرية (فهذا هو جوهرها بالطبع) كوسيلة لرؤية أي شيء يحدث عن بُعد. فالأجسام المتداخلة ليست شفافة تمامًا، وبما أن الجهات الفاعلة في المشهد الذي حاول المُجرِّب مراقبته ستكون على الأرجح شفافة بنفس القدر على الأقل، فمن الواضح أن ارتباكًا كبيرًا سينجم عن ذلك على الأرجح. إن البُعد الإضافي الذي سيُضاف إلى التجربة إذا ما تم استشعار الإشعاعات النجمية بدلاً من الأثيرية سيُزيل بعض الصعوبات، ولكنه من ناحية أخرى سيُضيف بعض التعقيدات الجديدة الخاصة به؛ لذا، ولأغراض عملية، وفي سعينا لفهم الاستبصار، يُمكننا رفض فرضية الإشعاعات الصادرة من عقولنا، والتوجه إلى أساليب الرؤية عن بُعد المتاحة فعليًا للطالب. سيُوجد أن هناك خمسة أساليب، أربعة منها تُمثل في الواقع أنواعًا من الاستبصار، بينما لا يندرج الخامس تحت هذا التصنيف إطلاقًا، بل ينتمي إلى مجال السحر. دعونا نتناول هذا الأخير أولًا، ونُزيله من طريقنا.

1 .بمساعدة روح الطبيعة. لا تتطلب هذه الطريقة بالضرورة امتلاك أي قدرة نفسية على الإطلاق من جانب المُجرِّب؛ كل ما يحتاجه هو معرفة كيفية حث أحد سكان العالم النجمي على إجراء البحث نيابةً عنه. يمكن القيام بذلك إما بالدعاء أو الاستحضار: أي أن المعالج قد يقنع مساعده النجمي بالصلوات والقرابين ليقدم له المساعدة التي يرغب بها، أو قد يفرض عليه المساعدة من خلال ممارسة إرادة قوية.

وقد مورست هذه الطريقة على نطاق واسع في الشرق (حيث كان الكيان المستخدم عادةً ما يكون روحًا طبيعية، وفي أتلانتس القديمة، حيث استخدم "سادة الوجه المظلم" نوعًا متخصصًا للغاية وسامًا بشكل غريب من العناصر الاصطناعية لهذا الغرض. أحيانًا تُجمع المعلومات بنفس الطريقة في جلسات تحضير الأرواح الروحية في العصر الحديث، ولكن في هذه الحالة، من المرجح أن يكون الرسول المستخدم إنسانًا متوفى حديثًا يعمل بحرية إلى حد ما على المستوى النجمي - مع أنه حتى هنا أيضًا يكون أحيانًا روحًا طبيعية مُتعاونة، تُسلي نفسها بالتظاهر بأنها قريب لشخص متوفى. على أي حال، كما ذكرتُ، هذه الطريقة ليست استبصارية على الإطلاق، بل سحرية؛ وقد ذُكرت هنا فقط حتى لا يلتبس على القارئ عند محاولة تصنيف حالات استخدامها تحت بعض العناوين التالية. ٢. عن طريق تيار نجمي - تُستخدم هذه العبارة بكثرة وبشكل فضفاض في بعض أدبياتنا الثيوصوفية لتغطية مجموعة كبيرة ومتنوعة من الظواهر، ومن بينها ما أرغب في شرحه. ما يفعله الطالب الذي يتبنى هذه

الطريقة في الواقع ليس تحريك تيار في المادة النجمية بقدر ما هو تركيب ما يشبه هاتفًا مؤقتًا من خلاله.

من المستحيل هنا تقديم بحث شامل في الفيزياء النجمية، حتى لو كنت أملك المعرفة اللازمة لكتابته؛ كل ما أحتاج إلى قوله هو أنه من الممكن إنشاء خط اتصال محدد في المادة النجمية يعمل كسلك تلغراف لنقل الاهتزازات التي يمكن من خلالها رؤية كل ما يحدث في الطرف الآخر. يُنشأ هذا الخط، إن وُجد، ليس بإسقاط مباشر عبر الفضاء لمادة نجمية، بل بفعل تأثير على خط (أو بالأحرى خطوط متعددة) من جسيمات تلك المادة يجعلها قادرة على تشكيل موصل للاهتزازات المطلوبة.

يمكن إعداد هذا الفعل التمهيدي بطريقتين: إما بنقل الطاقة من جسيم إلى آخر حتى يتشكل الخط، أو باستخدام قوة من مستوى أعلى قادرة على التأثير على الخط بأكمله في آنٍ واحد. وبالطبع، تتطلب هذه الطريقة الأخيرة تطورًا أكبر بكثير، لأنها تتطلب معرفة (وقدرة على استخدام) قوى ذات مستوى أعلى بكثير؛ لذا فإن من يستطيع رسم خطه بهذه الطريقة لن يحتاج إلى خط على الإطلاق، لأنه يستطيع الرؤية بشكل أوضح وأسهل وأكمل من خلال قدرة أعلى بكثير.

حتى أبسط العمليات النجمية الصرفة يصعب وصفها، مع أنها سهلة التنفيذ. يمكن القول إنها تُشبه إلى حد ما طبيعة مغنطة قضيب فولاذي؛ إذ إنها تتمثل فيما يُمكن أن نُسميه استقطابًا، بجهد من الإرادة البشرية، لعدد من الخطوط المتوازية للذرات النجمية الممتدة من المُشغِّل إلى المشهد الذي يُريد مُلاحظته. تُثبّت جميع الذرات المُتأثرة بهذه الطريقة مؤقتًا بحيث تكون محاورها متوازية تمامًا مع بعضها البعض، بحيث تُشكّل نوعًا من الأنبوب المؤقت الذي يُمكن للمُستبصر النظر من خلاله. لكن لهذه الطريقة عيبًا يتمثل في أن خط التلغراف عُرضة للتشويش أو حتى التلف بسبب أي تيار نجمي قوي بما يكفي يعترض مساره؛ ولكن إذا كان الجهد الأصلي للإرادة مُحددًا إلى حد ما، فسيكون هذا أمرًا طارئًا نادر الحدوث.

إن رؤية مشهد بعيد يتم الحصول عليه بواسطة هذا "التيار النجمي" لا تختلف من نواحٍ عديدة عن تلك التي تُرى من خلال التلسكوب. عادةً ما تبدو الأشكال البشرية صغيرة جدًا، كتلك الموجودة على مسرح بعيد، ولكن على الرغم من صغر حجمها، فإنها تكون واضحة كما لو كانت قريبة. أحيانًا، يُمكن بهذه الطريقة سماع ما يُقال ورؤية ما يُفعل؛ ولكن بما أن هذا لا يحدث في أغلب الحالات، فيجب أن نعتبر ذلك تجلّيًا لقوة إضافية أكثر منه نتيجةً ضروريةً لملكة الإبصار.

يُلاحظ أنه في هذه الحالة، لا يغادر الرائي جسده المادي إطلاقًا؛ فلا يوجد أي نوع من إسقاط مركبته النجمية أو أي جزء من ذاته تجاه ما ينظر إليه، بل يصنع لنفسه تلسكوبًا نجميًا مؤقتًا.

وبالتالي، فإنه، إلى حد ما، يستخدم قواه الجسدية حتى أثناء فحصه للمشهد البعيد؛ على سبيل المثال، عادةً ما يظل صوته تحت سيطرته، بحيث يتمكن من وصف ما رآه حتى أثناء قيامه بعملية الرصد. في الواقع، لا يزال وعي الإنسان قائمًا عند هذا الحد.

ومع ذلك، لهذه الحقيقة حدودها ومزاياها، وهي تشبه إلى حد كبير حدود استخدام الإنسان للتلسكوب على المستوى المادي. فعلى سبيل المثال، لا يملك المُجرِّب القدرة على تغيير وجهة النظر هذه؛ فلتلسكوبه، إن صح التعبير، مجال رؤية محدد لا يمكن تكبيره أو تغييره؛ فهو ينظر إلى المشهد من اتجاه معين، ولا يستطيع فجأةً أن يديره بالكامل ليرى كيف يبدو من الجانب الآخر.

هـ. إذا كانت لديه طاقة نفسية كافية، فقد يتخلى عن التلسكوب الذي يستخدمه ويصنع تلسكوبًا جديدًا تمامًا لنفسه، والذي سيقترب من هدفه بطريقة مختلفة بعض الشيء؛ ولكن هذا ليس مسارًا يُحتمل اتباعه عمليًا على الإطلاق.

ولكن، يمكن القول إن مجرد استخدامه للرؤية النجمية يُمكّنه من رؤيتها من جميع الجهات دفعة واحدة. وهذا ما سيحدث لو كان يستخدم تلك الرؤية بالطريقة المعتادة على جسم قريب منه نسبيًا - ضمن نطاقه النجمي، إن جاز التعبير؛ ولكن على مسافة مئات أو آلاف الأميال، فإن الوضع مختلف تمامًا. تمنحنا الرؤية النجمية ميزة بُعد إضافي، ولكن لا يزال هناك ما يُسمى بالموقع في ذلك البُعد، وهو بطبيعة الحال عامل قوي في الحد من استخدام قوى مستواه. يُمكّننا بصرنا الثلاثي الأبعاد العادي من رؤية كل نقطة من داخل شكل ثنائي الأبعاد، مثل المربع، دفعةً واحدة، ولكن لتحقيق ذلك، يجب أن يكون المربع على بُعد معقول من أعيننا؛ فمجرد بُعد إضافي لن يُفيد رجلاً في لندن إلا قليلاً في مسعاه لفحص مربع في كلكتا.

الرؤية النجمية، عندما تكون محدودة بتوجيهها عبر ما يُشبه الأنبوب، تكون محدودةً تمامًا كما هو الحال مع الرؤية المادية في ظروف مماثلة؛ مع ذلك، إذا تم امتلاكها بإتقان، فستظل تُظهر، حتى على تلك المسافة، الهالات، وبالتالي جميع المشاعر ومعظم أفكار الأشخاص المُراقَبين.

هناك العديد من الأشخاص الذين يُسهّل عليهم هذا النوع من الاستبصار بشكل كبير إذا كان لديهم شيء مادي يُمكن استخدامه كنقطة انطلاق لأنبوبهم النجمي - بؤرة مُلائمة لقوة إرادتهم. كرة الكريستال هي أكثر هذه البؤر شيوعًا وفعالية، لما لها من ميزة إضافية تتمثل في امتلاكها صفات تُحفز القدرات النفسية؛ ولكن تُستخدم أيضًا أشياء أخرى، والتي سنحتاج إلى الإشارة إليها بشكل أكثر تفصيلًا عند تناولنا للاستبصار شبه المتعمد. وفيما يتعلق بهذا الشكل النجمي من الاستبصار، كما هو الحال مع غيره، نجد أن بعض الوسطاء الروحانيين لا يستطيعون استخدامه إلا تحت تأثير التنويم المغناطيسي. والميزة في هذه الحالة هي وجود نوعين من بين هؤلاء الوسطاء الروحانيين - أحدهما يُمكّن الشخص من صنع تلسكوب لنفسه، والآخر يُمكّن

المُمغنط نفسه من صنع التلسكوب، ويُمكّن الشخص من الرؤية من خلاله ببساطة. في هذه الحالة الأخيرة، من الواضح أن الشخص لا يملك الإرادة الكافية لتشكيل أنبوب لنفسه، والمشغل، وإن كان يمتلك قوة الإرادة اللازمة، إلا أنه ليس مستبصرًا، وإلا كان بإمكانه الرؤية من خلال أنبوبه دون الحاجة إلى مساعدة.

أحيانًا، وإن كان نادرًا، يمتلك الأنبوب المُشكَّل سمة أخرى من سمات التلسكوب - وهي تكبير الأجسام الموجهة إليه حتى تبدو بالحجم الطبيعي. بالطبع، يجب تكبير الأجسام دائمًا إلى حد ما، وإلا لكانت غير مرئية تمامًا، ولكن عادةً ما يُحدَّد هذا الحجم بحجم الأنبوب النجمي، والشيء كله مجرد صورة متحركة صغيرة. في الحالات القليلة التي تُرى فيها الأشكال بالحجم الطبيعي بهذه الطريقة، من المحتمل أن قوة جديدة تمامًا قد بدأت تلوح في الأفق؛ ولكن عندما يحدث هذا، يلزم مراقبة دقيقة لتمييزها عن أمثلة من فئتنا التالية. ٣. بإسقاط صورة فكرية - إن القدرة على استخدام هذه الطريقة من الاستبصار تنطوي على تطور أكثر تقدمًا من سابقتها، إذ تتطلب قدرًا من التحكم في المستوى العقلي. يدرك جميع دارسي الثيوصوفية أن الفكر يتخذ شكلًا، على الأقل على مستواه الخاص، وفي الغالبية العظمى من الحالات على المستوى النجمي أيضًا؛ ولكن قد لا يكون من المعروف تمامًا أنه إذا فكر شخص ما بقوة في نفسه كحاضر في مكان معين، فإن الشكل الذي يتخذه هذا الفكر سيكون صورة للمفكر نفسه، والذي سيظهر في المكان المعني.

٣٨

في الأساس، يجب أن يتكون هذا الشكل من مادة المستوى العقلي، ولكن في كثير من الحالات، سيحيط نفسه بمادة المستوى النجمي أيضًا، وبالتالي سيقترب كثيرًا من الرؤية. في الواقع، هناك العديد من الحالات التي رآها الشخص المُفكَّر فيه - على الأرجح عن طريق التأثير التنويمي اللاواعي المنبعث من التفكير الأصلي. مع ذلك، لن يُدرَج أيٌّ من وعي المفكر ضمن هذا الشكل الفكري. بمجرد أن يُبعث منه، سيكون عادةً كيانًا منفصلًا تمامًا - ليس في الواقع منفصلًا تمامًا عن صانعه، بل عمليًا بقدر ما يتعلق الأمر بإمكانية تلقي أي انطباع من خلاله.

يتمثل هذا النوع الثالث من الاستبصار، إذًا، في القدرة على الاحتفاظ بقدر كبير من الارتباط والتأثير على شكل فكري مُنشأ حديثًا، بما يُتيح تلقي الانطباعات من خلاله. مثل هذا الانطباع في هذه الحالة، ستنتقل الأيونات المُكوّنة على الشكل إلى المفكر - ليس عبر خط تلغراف نجمي، كما كان الحال سابقًا، بل عبر اهتزازات متعاطفة. في حالة مثالية من هذا النوع من الاستبصار، يكاد يكون الرائي كما لو أنه أسقط جزءًا من وعيه على شكل الفكر، واستخدمه كنقطة انطلاق، يُمكن من خلالها الملاحظة. يرى الرائي جيدًا تقريبًا كما لو كان هو نفسه يقف في مكان شكل فكره. ستبدو له الأشكال التي ينظر إليها بحجمها الطبيعي وقريبة، بدلًا من أن

تكون صغيرة وبعيدة، كما في الحالة السابقة؛ وسيجد أنه من الممكن تغيير وجهة نظره إذا رغب في ذلك. ربما يكون الاستماع إلى الحقيقة أقل ارتباطًا بهذا النوع من الاستبصار منه بالنوع السابق، ولكن مكانه إلى حد ما هو نوع من الإدراك الذهني لأفكار ونوايا من يُرى. بما أن وعي الإنسان لا يزال في الجسد المادي، فسيكون قادرًا (حتى أثناء ممارسة هذه القدرة) على السمع والتحدث، بقدر ما يستطيع القيام بذلك دون أي تشتيت لانتباهه. في اللحظة التي تفشل فيها نية تفكيره، تختفي الرؤية تمامًا، وسيتعين عليه بناء شكل فكري جديد قبل أن يتمكن من استئنافها. الحالات التي يمتلك فيها الأشخاص غير المدربين هذا النوع من الرؤية بأي درجة من الكمال هي بطبيعة الحال أندر من حالة النوع السابق، نظرًا للقدرة المطلوبة على التحكم العقلي، والطبيعة الأدق للقوى المستخدمة بشكل عام.

4 .بالسفر في الجسد النجمي - ندخل هنا إلى نوع جديد تمامًا من الاستبصار، حيث لا يبقى وعي الرائي في جسده المادي أو مرتبطًا به ارتباطًا وثيقًا، بل ينتقل بالتأكيد إلى المشهد الذي يفحصه. مع أنها بلا شك أشد خطرًا على الرائي غير المدرب من أيٍّ من الطريقتين الموصوفتين سابقًا، إلا أنها تُعدّ أكثر أشكال الاستبصار المتاحة له إرضاءً، لأن النوع المتفوق للغاية الذي سنتناوله في بابنا الخامس لا يتوفر إلا للطلاب المدربين تدريبًا خاصًا. في هذه الحالة، يكون جسد الرجل إما نائمًا أو في حالة غيبوبة، وبالتالي تكون أعضاؤه غير متاحة للاستخدام الذي تجري فيه الرؤية، لذا يجب تأجيل أي وصف لما يُرى، وأي تساؤل عن تفاصيل أخرى، حتى يعود الرائي إلى هذا المستوى. من ناحية أخرى، يكون البصر أكمل وأكمل بكثير؛ يسمع الرجل ويرى كل ما يمر أمامه، ويمكنه التحرك بحرية كما يشاء ضمن الحدود الواسعة جدًا للمستوى النجمي. يستطيع أن يرى ويدرس براحة جميع سكان ذلك العالم، بحيث ينفتح أمامه عالم أرواح الطبيعة العظيم (الذي لا تُعدّ أرض الجنيات التقليدية سوى جزء صغير منه)، بل وحتى عالم بعض الديفا الدنيا. كما يتمتع بميزة هائلة تتمثل في قدرته على المشاركة، إن جاز التعبير، في المشاهد التي تُعرض أمام عينيه، والتحدث بإرادته مع هذه الكيانات النجمية المتنوعة التي يمكن الحصول منها على الكثير من المعلومات الشيقة والمثيرة للاهتمام. وإذا استطاع، بالإضافة إلى ذلك، أن يتعلم كيفية تجسيد نفسه (وهو أمر ليس صعبًا عليه بمجرد اكتساب هذه الموهبة)، فسيكون قادرًا على المشاركة في الأحداث أو المحادثات المادية عن بُعد، وأن يُظهر نفسه لصديق غائب بإرادته. ومرة أخرى، لديه القدرة الإضافية على البحث عما يريد. باستخدام أنواع الاستبصار المذكورة سابقًا، لا يستطيع الإنسان عمليًا العثور على شخص أو مكان إلا إذا كان على دراية به، أو عندما ينسجم معه من خلال لمس شيء متصل به ماديًا، كما في علم النفس. صحيح أنه باستخدام الطريقة الثالثة، يُمكن تحقيق قدر معين من الحركة، لكن العملية شاقة باستثناء المسافات القصيرة. أما باستخدام الجسم النجمي، فيمكن للإنسان التحرك بحرية تامة وبسرعة في أي اتجاه، ويمكنه (على سبيل المثال) العثور دون صعوبة على أي مكان مُشار إليه على الخريطة، دون أي معرفة مسبقة بالمكان أو

أي شيء يُثبت ارتباطه به. كما يمكنه بسهولة الارتفاع عاليًا في الهواء للحصول على رؤية شاملة للبلد الذي يفحصه، وذلك لمراقبة امتداده، ومحيط ساحله، أو طابعه العام. في الواقع، من جميع النواحي، تكون قوته وحريته أعظم بكثير عند استخدامه هذه الطريقة مقارنةً بأيٍّ من الحالات السابقة.

ومن الأمثلة الجيدة على امتلاكه الكامل لهذه القوة، نقلاً عن الكاتب الألماني يونغ ستيلينغ، ما ذكرته السيدة كرو في كتابها "الجانب الليلي من الطبيعة" (صفحة ١٢٧). تروي القصة قصة عراف يُقال إنه كان يقيم في ضواحي فيلادلفيا، في أمريكا. كان قليل الكلام، قليل الحياء؛ كان كريمًا وتقيًا، ولم يُعرف عنه شيء يُسيء إلى شخصيته، باستثناء أنه كان معروفًا بامتلاكه بعض الأسرار التي لم تكن تُعتبر بديلة.

معًا قانونيًا. حُكي عنه العديد من القصص الغريبة، ومن بينها ما يلي: "زوجة قبطان سفينة (كان زوجها في رحلة إلى أوروبا وأفريقيا، وانقطعت أخباره عنها لفترة طويلة)، غمرها القلق على سلامته، فدفعها ذلك إلى التوجه إلى هذا الشخص. وبعد أن استمع إلى قصتها، توسل إليها أن تعذره لفترة حتى يأتيها بالمعلومات التي تحتاجها. ثم دخل إلى غرفة داخلية وجلست تنتظر؛ لكن غيابه طال أكثر مما توقعت، ففقدت صبرها، ظنت أنه نسيها، واقتربت بهدوء من الباب وألقت نظرة خاطفة من خلال فتحة، وفوجئت به مستلقيًا على أريكة ساكنًا كما لو كان ميتًا. بالطبع، لم تر أنه من المناسب إزعاجه، بل انتظرت عودته، عندما أخبرها أن زوجها لم يتمكن من الكتابة إليها لأسباب كذا وكذا، ولكنه كان حينها في..." مقهى في لندن، وسيعود قريبًا.

41

"وصل، ولما علمت السيدة منه أن أسباب صمته غير المعتاد هي بالضبط ما زعمه الرجل، شعرت برغبة شديدة في التأكد من صحة بقية المعلومات.

وقد سرّها ذلك، إذ ما إن وقعت عيناه على الساحر حتى قال إنه رآه من قبل في أحد الأيام في مقهى بلندن، وأنه أخبره أن زوجته قلقة عليه للغاية، وأنه، القبطان، ذكر حينها كيف مُنع من الكتابة، مضيفًا أنه على وشك الإبحار إلى أمريكا. ثم غاب عن ناظريه ذلك الغريب بين الحشد، ولم يعد يعرف عنه شيئًا.

بالطبع، ليس لدينا الآن وسيلة لمعرفة ما إذا كان يونغ ستيلينغ قد أثبت صحة هذه القصة، مع أنه يُعلن رضاه التام عن المرجع الذي يستند إليه في سردها؛ ولكن حدثت أمورٌ كثيرةٌ مشابهةٌ لدرجة أنه لا يوجد ما يدعو للشك في دقتها. مع ذلك، لا بد أن الرائي قد نمّى ملكته بنفسه أو تعلمها في مدرسةٍ غير تلك التي استُمدت منها معظم معلوماتنا الثيوصوفية؛ ففي حالتنا، هناك لائحةٌ مفهومةٌ تمنع التلاميذ صراحةً من إظهار أي مظهرٍ من مظاهر هذه القوة التي يمكن

إثباتها بشكلٍ قاطعٍ من كلا الطرفين بهذه الطريقة، وبالتالي تُشكل ما يُسمى "ظاهرة". إن حكمة هذه اللائحة واضحةٌ جليةٌ لكل من يعرف شيئًا عن تاريخ جمعيتنا من خلال النتائج الكارثية التي نتجت عن تراخيٍ مؤقتٍ طفيفٍ فيها.

سأورد بعض الحالات الحديثة جدًا، والتي تُقارب تمامًا ما سبق، في كتابي الصغير عن المساعدين غير المرئيين. يذكر السيد ستيد في كتابه "قصص الأشباح الحقيقية" (صفحة ٢٧) مثالاً لسيدة أعرفها جيداً، تظهر كثيراً لأصدقائي البعيدين؛ ويروي السيد أندرو لانغ في كتابه "الأحلام والأشباح" (صفحة ٨٩) كيف ظهر السيد كليف، الذي كان آنذاك في بورتسموث، عمداً في مناسبتين لشابة في لندن، وأثار قلقها بشكل كبير. هناك أدلة كافية حول هذا الموضوع لمن يهتم بدراسته بجدية.

يبدو أن هذه الزيارات النجمية المتعمدة غالباً ما تصبح ممكنة عندما تُرخى المبادئ عند اقتراب الموت لمن لم يتمكنوا من القيام بمثل هذا العمل الفذ في أي وقت آخر. وهناك ٤٢ مثالاً على هذه الفئة أكثر من غيرها؛ وأُلخص مثالاً جيداً ذكره السيد أندرو لانغ في الصفحة ١٠٠ من الكتاب المذكور سابقاً - يقول هو نفسه في إحداها: "لا توجد قصص كثيرة تحمل مثل هذا الدليل القوي لصالحها."

ماري، زوجة جون جوف من روتشستر، أُصيبت بمرض طويل الأمد، فنُقلت إلى منزل والدها في ويست مالينغ، على بُعد حوالي تسعة أميال من منزلها. في اليوم السابق لوفاتها، ازدادت رغبتها في رؤية طفليها اللذين تركتهما في المنزل لرعاية ممرضة. كانت مريضة للغاية لدرجة أنها لم تستطع التحرك، وبين الساعة الواحدة والثانية صباحًا، دخلت في غيبوبة. تقول أرملة تُدعى تيرنر، كانت تراقبها تلك الليلة، إن عينيها كانتا مفتوحتين وثابتتين، وفكها كان مشلولًا. وضعت السيدة تيرنر يدها على فمها، لكنها لم تستطع سماع أي أنفاس. ظنتها في نوبة، وشككت في أنها ميتة أم حية. في صباح اليوم التالي، أخبرت المرأة المحتضرة والدتها أنها كانت في المنزل مع أطفالها، قائلةً: "كنت معهم الليلة الماضية عندما كنت نائمة."

وتؤكد الممرضة في روتشستر، الأرملة ألكسندر، أنها رأت قبل الساعة الثانية بقليل من ذلك الصباح صورة ماري جوف المذكورة تخرج من الغرفة المجاورة (حيث كانت الطفلة الكبرى مستلقية في سرير بمفردها)، والباب مفتوح، وتقف بجانب سريرها لمدة ربع ساعة تقريبًا؛ وكانت الطفلة الصغرى مستلقية بجانبها. تحركت عيناها ونطقت، لكنها لم تنطق بكلمة. علاوة على ذلك، تقول الممرضة إنها كانت مستيقظة تمامًا؛ وكان النهار قد أشرق آنذاك، وهو أحد أطول أيام السنة. جلست في السرير ونظرت ركزت بثبات على الظهور. في تلك الأثناء، سمعت دقات ساعة الجسر الثانية، وبعد قليل قالت: "باسم الآب والابن والروح القدس، من أنت؟" عندها اختفى الظهور وذهب. ارتدت ملابسها وتبعته، لكنها لا تستطيع معرفة ما حدث.

يبدو أن الممرضة كانت خائفة من ظهوره أكثر من وجوده، لأنها بعد ذلك كانت تخشى البقاء في المنزل، ولذلك أمضت بقية الوقت حتى الساعة السادسة مساءً تتجول في الخارج. عندما استيقظ الجيران، أخبرتهم قصتها، وقالوا بالطبع إنها حلمت بكل شيء؛ رفضت هذه الفكرة رفضًا قاطعًا بطبيعة الحال، لكنها لم تستطع تصديقها حتى وصلت أخبار الجانب الآخر من القصة من ويست مالينغ، عندما اضطر الناس إلى الاعتراف بأنه ربما كان هناك شيء ما فيها.

ومن الظرف الجدير بالملاحظة في هذه القصة أن الأم وجدت أنه من الضروري الانتقال من النوم العادي إلى حالة غيبوبة أعمق قبل أن تتمكن من زيارة أطفالها بوعي؛ ومع ذلك، يمكن مقارنتها بها وبين العدد الكبير من الروايات المماثلة التي يمكن العثور عليها في أدبيات هذا الموضوع.

قصتان أخريان عن من النوع نفسه تمامًا - حيث تغفو أمٌّ تحتضر، راغبةً بشدة في رؤية أطفالها، فتغفو نومًا عميقًا، فتزورهم وتعود لتخبرهم أنها فعلت ذلك - قدّمها الدكتور ف. ج. لي. في إحداها، تظهر الأم، وهي تحتضر في مصر، لأطفالها في توركواي، فيُشاهَد بوضوح في وضح النهار من قِبل الأطفال الخمسة، وكذلك من قِبل المُربية. (لمحات من الخوارق، المجلد الثاني، صفحة 64). في الأخرى، تُشاهَد سيدةٌ كويكريةٌ تحتضر في كوكرماوث بوضوح، ويُتعرّف عليها أطفالها الثلاثة في سيتل في وضح النهار، ويتطابق باقي القصة تقريبًا مع القصة المذكورة أعلاه. (لمحات في الشفق، صفحة 94).

على الرغم من أن هذه الحالات تبدو أقل شهرةً من حالة ماري جوف، إلا أن الأدلة على صحتها تبدو قويةً تمامًا، كما يتضح من الشهادات التي حصل عليها المؤلف الموقر للأعمال التي... يُستشهد بها.

إن من يمتلك هذا النوع الرابع من الاستبصار يمتلك مزايا عديدة وعظيمة، بل تزيد على ما سبق ذكره. فهو لا يستطيع زيارة جميع الأماكن الجميلة والمشهورة في العالم دون عناء أو تكلفة فحسب، بل إذا كان عالمًا، فماذا يعني له أن يكون له حق الوصول إلى جميع مكتبات العالم! ماذا يعني أن يرى الإنسان ذو العقلية العلمية هذا الكم الهائل من عمليات الكيمياء السرية للطبيعة تجري أمام عينيه، أو أن يكشف له الفيلسوف أكثر بكثير من أي وقت مضى عن أسرار الحياة والموت العظيمة؟ بالنسبة له، لم يعد أولئك الذين رحلوا عن هذا العالم أمواتًا، بل أحياء وفي متناول اليد لزمن طويل قادم؛ وبالنسبة له، لم تعد العديد من مفاهيم الدين مسائل إيمانية، بل مسائل معرفة. والأهم من ذلك كله، يمكنه الانضمام إلى جيش المساعدين غير المرئيين، وأن يكون مفيدًا حقًا على نطاق واسع. لا شك أن الاستبصار، حتى وإن اقتصر على المستوى النجمي، نعمة عظيمة للدارس.

ولكن له مخاطره أيضًا، وخاصةً لغير المدربين؛ خطر الكيانات الشريرة من مختلف الأنواع، التي قد تُرعب أو تؤذي من يسمحون لأنفسهم بفقدان الشجاعة لمواجهتها بجرأة؛ خطر الخداع بشتى أنواعه، وسوء فهم وتفسير ما يُرى؛ والأخطر من ذلك كله خطر الغرور بالأمر والاعتقاد باستحالة ارتكاب خطأ. لكن قليلًا من المنطق السليم وقليلًا من الخبرة كفيلان بحماية الإنسان من هذه المخاطر.

5 .السفر عبر الجسد العقلي - هذا ببساطة شكل أسمى، وإن كان ممجدًا، من النوع الأخير. لم تعد المركبة المستخدمة هي الجسد النجمي، بل الجسد العقلي - مركبة، بالتالي، تنتمي إلى المستوى العقلي، وتحمل في طياتها جميع إمكانيات الإحساس الرائع بذلك مستوىً سامٍ في تأثيره، ومع ذلك يستحيل وصفه. الإنسان الذي يعمل في هذا المجال يترك جسده النجمي خلفه مع الجسد المادي، وإذا رغب في الظهور على المستوى النجمي لأي سبب، فإنه لا يطلب مركبته النجمية الخاصة، بل يُجسّدها بفعل إرادته فقط لحاجته المؤقتة. يُطلق على هذا التجسيد النجمي أحيانًا اسم "مايافي روبا"، ويتطلب تكوينه لأول مرة عادةً مساعدة معلم مؤهل.

المزايا الهائلة التي يمنحها امتلاك هذه القوة هي القدرة على دخول كل مجد وجمال أرض النعيم العليا، وامتلاك، حتى عند العمل على المستوى النجمي، حاسة عقلية أشمل بكثير تفتح للطالب آفاقًا رائعة من المعرفة، وتجعل الخطأ عمليًا شبه مستحيل. ومع ذلك، فإن هذا التحليق الأعلى ممكن فقط للإنسان المُدرّب، لأنه فقط تحت تدريب محدد يمكن للإنسان في هذه المرحلة من التطور تعلم كيفية توظيف رجاله الجسد كوسيلة.

قبل أن نغادر موضوع الاستبصار الكامل والمقصود، قد يكون من الجيد تخصيص بضع كلمات للإجابة على سؤال أو سؤالين حول حدوده، والتي تخطر دائمًا على بال الطلاب. هل يُمكن للرائي، كما يُسأل كثيرًا، أن يجد أي شخص يرغب في التواصل معه، في أي مكان في العالم، سواءً كان حيًا أم ميتًا؟

45

يجب أن يكون الجواب على هذا السؤال إيجابيًا مشروطًا. ومع ذلك، من الممكن العثور على أي شخص إذا استطاع المُجرِّب، بطريقة أو بأخرى، أن يُنشئ علاقة وطيدة معه. سيكون من المستحيل الغوص في الفضاء للعثور على شخص غريب تمامًا بين ملايين الأشخاص من حولنا دون أي دليل؛ ولكن، من ناحية أخرى، عادةً ما يكون دليل طفيف جدًا كافيًا. إذا كان العراف يعرف شيئًا عن الرجل الذي يبحث عنه، فلن يواجه صعوبة في العثور عليه، فكل إنسان لديه ما يمكن تسميته بنوع من الوتر الموسيقي الخاص به - وتر يُعبّر عنه ككل، ربما ينتج عن نوع من متوسط معدلات اهتزاز جميع مركباته المختلفة على مستوياتها الخاصة. إذا

عرف المُشغل كيفية تمييز هذا الوتر وضربه، فإنه سيجذب انتباه الرجل فورًا أينما كان، وسيثير لديه استجابة فورية.

سواء كان الرجل حيًا أم ميتًا مؤخرًا، فلن يُحدث ذلك فرقًا على الإطلاق، ويمكن للاستبصار من الدرجة الخامسة أن يجده على الفور حتى بين الملايين التي لا تُحصى في عالم السماء، مع أن الرجل نفسه في هذه الحالة سيكون فاقدًا للوعي بأنه تحت المراقبة. بطبيعة الحال، لن يتمكن الرائي الذي لا يتجاوز وعيه المستوى النجمي - والذي استخدم إحدى طرق الرؤية المبكرة - من العثور على شخص على المستوى العقلي إطلاقًا؛ ومع ذلك، سيتمكن على الأقل من معرفة أن الشخص المطلوب موجود على ذلك المستوى، لمجرد أن ضرب الوتر حتى المستوى النجمي لم يُحدث أي استجابة.

إذا كان الشخص المطلوب غريبًا عن الباحث، فسيحتاج الأخير إلى شيء مرتبط به ليكون بمثابة دليل - صورة فوتوغرافية، أو رسالة كتبها، أو مقالة كانت ملكًا له، ومشبعة بجاذبيته الشخصية؛ أيٌّ من هذه الأشياء كافٍ في يد رائي مُتمرس.

أقول مرة أخرى، لا ينبغي افتراض أن التلاميذ الذين تعلموا كيفية استخدام هذا الفن لهم حرية إنشاء نوع من مكتب استخبارات يمكن من خلاله التواصل مع أقاربهم المفقودين أو المتوفين. قد تُسلَّم رسالةٌ من هذا الجانب إلى شخصٍ كهذا، وقد لا تُسلَّم، حسب الظروف، ولكن حتى لو سُلِّمت، فقد لا يُردُّ عليها، خشيةَ أن تُصبحَ المعاملةُ ظاهرةً - أي شيئًا يُمكن إثباتُه على المستوى المادي على أنه عملٌ سحري.

وهناك سؤالٌ آخر يُطرح كثيرًا، وهو ما إذا كان هناك أيُّ حدٍّ للمسافة في فعل الرؤية النفسية. ويبدو أن الجواب هو أنه لا ينبغي أن يكون هناك حدٌّ سوى حدِّ المستويات المعنية. يجب أن نتذكر أن المستويات النجمية والعقلية لأرضنا هي ملكٌ لها تمامًا كغلافها الجوي، وإن كانت تمتدُّ أبعدَ بكثيرٍ عنها - حتى في فضاءنا ثلاثي الأبعاد - من الهواء المادي.

ونتيجةً لذلك، لن يكون المرور إلى الكواكب الأخرى، أو رؤيتها التفصيلية، ممكنًا لأيِّ نظام استبصارٍ مرتبطٍ بهذه المستويات. من السهل جدًا على من يرتقي بوعيه إلى المستوى البوذي أن ينتقل إلى أي عالم آخر ينتمي إلى سلسلة عوالمنا، ولكن هذا خارج نطاق موضوعنا الحالي.

ومع ذلك، يمكن الحصول على قدر كبير من المعلومات الإضافية حول الكواكب الأخرى باستخدام القدرات الاستبصارية التي وصفناها. من الممكن جعل الرؤية أوضح بكثير بالخروج من الاضطرابات المستمرة في الغلاف الجوي للأرض، كما أنه ليس من الصعب تعلم كيفية استخدام قوة تكبير عالية جدًا، بحيث يمكن حتى من خلال الاستبصار العادي اكتساب قدر كبير

من المعرفة الفلكية الشيقة. ولكن فيما يتعلق بهذه الأرض ومحيطها المباشر، لا يوجد أي حد عمليًا.

الفصل الخامس. الاستبصار في الفضاء: شبه عمد

تحت هذا العنوان الغريب، أجمع حالات كل أولئك الأشخاص الذين صمّموا أنفسهم على رؤية شيء ما، لكنهم لا يدركون ماهيته، ولا يسيطرون على الرؤية بعد بدء الرؤى - وسطاء روحانيون، يضعون أنفسهم في حالة استقبال، ثم ينتظرون ببساطة ظهور شيء ما. يندرج العديد من الوسطاء الروحانيين تحت هذا العنوان؛ فهم إما يُنوّمون أنفسهم مغناطيسيًا بطريقة ما، أو يُنوّمون مغناطيسيًا من قِبل "مرشد روحي"، ثم يصفون المشاهد أو الأشخاص الذين يصادفون طفوًا أمام رؤاهم.

ولكن في بعض الأحيان، عندما يكونون في هذه الحالة، يرون ما يحدث عن بُعد، فيصبحون من بين "مرشدينا الروحانيين في الفضاء."

لكن أكبر وأوسع شريحة من هؤلاء العرافين شبه المتعمدين انتشارًا هم مختلف أنواع مُحدِّقي البلورات - أولئك الذين، كما يقول السيد أندرو لانغ، "يحدِّقون في كرة بلورية، أو كوب، أو مرآة، أو قطرة حبر (في مصر والهند)، أو قطرة دم (من بين الماوري في نيوزيلندا)، أو وعاء ماء (في الهند الحمراء)، أو بركة (في الرومان والأفارقة)، أو ماء في وعاء زجاجي (في فاس)، أو أي سطح مصقول تقريبًا." (الأحلام والأشباح، صفحة 57).

بعد صفحتين، يُقدِّم لنا السيد لانغ مثالًا جيدًا جدًا على نوع الرؤية الذي يُرى غالبًا بهذه الطريقة. يقول: "أعطيتُ كرةً زجاجيةً لشابة، الآنسة بيلي، التي لم تُوفق في استخدامها. أعارتها للآنسة ليزلي، التي رأت أريكةً حمراء كبيرةً مربعةً عتيقة الطراز مغطاةً بقماش الموسلين، وجدتها في المنزل الريفي التالي الذي زارته. ضحك شقيق الآنسة بيلي، وهو رياضيٌّ شاب، من هذه التجارب، وأخذ الكرة إلى غرفة الدراسة، وعاد وقد بدا عليه التأثر الشديد. اعترف بأنه رأى رؤيا - شخصًا يعرفه تحت مصباح. سيكتشف خلال الأسبوع ما إذا كان قد رأى بشكل صحيح أم لا. كان ذلك في الساعة الخامسة والنصف من عصر يوم أحد. يوم الثلاثاء، كان السيد بيلي في حفل رقص في بلدة تبعد حوالي أربعين ميلًا عن منزله، والتقى بالآنسة بريستون. قال: «في يوم الأحد، حوالي الساعة الخامسة والنصف، كنتِ جالسة تحت مصباح عادي مرتديةً ثوبًا لم أركِ ترتدينه قط، بلوزة زرقاء اللون مع دانتيل على الكتفين، تصببين الشاي لرجل يرتدي رداءً أزرق، وكان ظهره نحوي، فلم أرَ سوى طرف شاربه». قالت الآنسة بريستون: "حسنًا، لا بد أن الستائر كانت مرتفعة". قال السيد بيلي: "كنت في دالبي"، وكان كذلك بلا شك.

هذه حالة نموذجية من التأمل في الكريستال - الصورة صحيحة بكل تفاصيلها، كما ترى، ومع ذلك فهي غير مهمة إطلاقًا ولا تحمل أي دلالة ظاهرة لأي من الطرفين، باستثناء أنها أثبتت للسيد بيلي وجود شيء ما في التأمل في الكريستال. ربما تكون الرؤى في أغلب الأحيان ذات

طابع رومانسي - رجال يرتدون ملابس أجنبية، أو مناظر طبيعية جميلة وإن كانت غير معروفة عمومًا.

والآن، ما هو الأساس المنطقي لهذا النوع من الاستبصار؟ كما أشرتُ سابقًا، ينتمي عادةً إلى نوع "التيار النجمي"، والبلورة أو أي شيء آخر يعمل ببساطة كمحور لإرادة الرائي، ونقطة انطلاق ملائمة لأنبوبه النجمي. هناك من يستطيعون التأثير على ما يرونه بإرادتهم، أي أنهم... يملكون القدرة على توجيه تلسكوبهم كما يشاؤون؛ لكن الغالبية العظمى منهم يشكلون أنبوبًا عرضيًا ويشاهدون ما يظهر في نهايته. أحيانًا قد يكون المشهد قريبًا نسبيًا، كما في الحالة المذكورة آنفًا؛ وفي أحيان أخرى يكون منظرًا شرقيًا بعيدًا؛ وفي أحيان أخرى قد يكون انعكاسًا لشظية من سجل آكاشا، وعندها ستحتوي الصورة على شخصيات ترتدي ملابس عتيقة، وتنتمي هذه الظاهرة إلى قسمنا الثالث الكبير "الاستبصار في الزمن". يُقال إن رؤى المستقبل تُرى أحيانًا في البلورات أيضًا - وهو تطور آخر سنشير إليه لاحقًا.

لقد رأيت استخدامًا استبصاريًا لسطح أسود تمامًا بدلًا من السطح اللامع العادي، ناتجًا عن حفنة من الفحم المسحوق في صحن. في الواقع، لا يبدو أن ما يُستخدم كمحور تركيز يُهم كثيرًا، باستثناء أن البلورة النقية تتميز بميزة لا شك فيها على المواد الأخرى في أن ترتيبها الغريب... الجوهر العنصري يجعله مُحفِّزًا بشكلٍ خاص للقدرات النفسية.

49

ومع ذلك، يبدو من المُرجّح أنه في الحالات التي يُستخدم فيها جسمٌ صغيرٌ لامع - مثل نقطة ضوء، أو قطرة دم استخدمها الماوري - فإن الحالة في الواقع ليست سوى حالة تنويم ذاتي. في الدول غير الأوروبية، غالبًا ما تسبق التجربة أو تُصاحبها طقوسٌ وتضرعات سحرية، مما يُرجّح تمامًا أن يكون هذا الإبصار المُكتسب أحيانًا إبصار كيانٍ غريب، وبالتالي قد تكون الظاهرة في الواقع مجرد حالة امتلاكٍ مؤقت، وليست استبصارًا على الإطلاق.

50



الفصل السادس. الاستبصار في الفضاء: غير مقصود

تحت هذا العنوان، يُمكننا تجميع جميع الحالات التي تُرى فيها رؤى حدثٍ ما يحدث عن بُعد بشكلٍ غير متوقع تمامًا ودون أي نوع من الاستعداد. هناك أشخاص يتعرضون لمثل هذه الرؤى، بينما هناك كثيرون غيرهم ممن يحدث لهم مثل هذا الشيء مرة واحدة فقط في العمر. الرؤى من جميع الأنواع وجميع درجات الاكتمال، ويبدو أنها قد تنتج عن أسباب مختلفة. في بعض الأحيان يكون سبب الرؤية واضحًا، وموضوعها بالغ الأهمية؛ وفي أحيان أخرى لا يمكن اكتشاف أي سبب على الإطلاق، وتبدو الأحداث المعروضة ذات طبيعة تافهة للغاية.

أحيانًا تأتي هذه اللمحات من القدرة فوق المادية كرؤى يقظة، وأحيانًا تتجلى أثناء النوم كأحلام واضحة أو متكررة. في هذه الحالة الأخيرة، ربما يُنسب البصر المستخدم عادةً إلى فرعنا الرابع من الاستبصار في الفضاء، لأن الرجل النائم غالبًا ما يسافر في جسده النجمي إلى مكان ترتبط به عواطفه أو اهتماماته ارتباطًا وثيقًا، ويراقب ببساطة ما يحدث هناك؛ في الحالة الأولى، يبدو من المرجح أن يُستدعى النوع الثاني من الاستبصار، عن طريق التيار النجمي. لكن في هذه الحالة، يتشكل التيار أو الأنبوب دون وعي، وغالبًا ما يكون نتيجة تلقائية لفكرة أو عاطفة قوية تُسقط من أحد الطرفين - إما من الرائي أو من الشخص المُرى.

الخطة الأبسط هي تقديم بعض الأمثلة على الأنواع المختلفة، وخلطها مع أي تفسيرات إضافية قد تراها ضرورية. جمع السيد ستيد تشكيلة واسعة ومتنوعة من الحالات الحديثة والموثوقة جيدًا في كتابه "قصص الأشباح الحقيقية"، وسأختار بعضًا من أمثلتي منها، مع الاختصار قليلًا أحيانًا لتوفير المساحة. هناك حالاتٌ يتضح فيها جليًا لأي طالب ثيوصوفي أن حالةً استثنائيةً من الاستبصار قد نتجت خصيصًا عن إحدى هذه المجموعات التي أطلقنا عليها اسم "المساعدين غير المرئيين" لتقديم المساعدة لمن هم في أمسّ الحاجة إليها. إلى هذه المجموعة، بلا شك، تنتمي القصة التي رواها الكابتن يونت، من وادي نابا في كاليفورنيا، للدكتور بوشنيل، الذي يكررها في كتابه "الطبيعة والخارق للطبيعة" (صفحة ١٤). قبل حوالي ست أو سبع سنوات، في ليلة شتوية، رأى حلمًا رأى فيه ما بدا وكأنه مجموعة من المهاجرين، وقد حاصرتهم ثلوج الجبال، ويهلكون بسرعة من البرد والجوع. لاحظ طبيعة المشهد، التي تميزها واجهة عمودية ضخمة من جرف صخري أبيض؛ ورأى الرجال يقطعون ما بدا أنه قمم أشجار تبرز من خلجان ثلجية عميقة؛ وميز ملامح الأشخاص وملامح معاناتهم الخاصة. استيقظ مندهشًا بشدة من وضوح الحلم وواقعيته الواضحة. نام أخيرًا، وحلم الحلم نفسه تمامًا مرة أخرى. في الصباح، لم يستطع طرده من ذهنه. سقط، وبعد ذلك بوقت قصير، أخبره رفيق صيد قديم بقصته، وزاد تأثره بإدراكه دون تردد لمشهد الحلم. عبر هذا الرفيق جبال سييرا عبر ممر وادي كارسون، وأعلن أن هناك مكانًا في الممر يطابق وصفه تمامًا.

"بهذا، اتخذ البطريرك الساذج قراره. جمع على الفور مجموعة من الرجال، مع البغال والبطانيات وجميع المؤن اللازمة. كان الجيران يضحكون في هذه الأثناء من سذاجته. قال: "لا يهم، أنا قادر على فعل هذا، وسأفعل، لأني أعتقد حقًا أن الأمر يتوافق مع حلمي". أُرسل الرجال إلى الجبال على بُعد مائة وخمسين ميلًا مباشرةً إلى ممر وادي كارسون. وهناك وجدوا المجموعة في حالة الحلم تمامًا، وأحضروا البقية منهم أحياءً." بما أنه لم يُذكر أن الكابتن يونت كان معتادًا على رؤية الرؤى، فيبدو جليًا أن أحد المساعدين، إذ لاحظ حالة المهاجرين البائسة، اصطحب أقرب شخص قابل للتأثر ومؤهل (والذي تصادف أنه الكابتن) إلى المكان في الجسم النجمي، وأيقظه بما يكفي لتثبيت المشهد في ذاكرته. ربما يكون المساعد قد رتّب "تيارًا نجميًا" للكابتن، لكن الافتراض الأول هو الأرجح. على أي حال، فإن دافع العمل، ومنهجيته بشكل عام، واضحان بما فيه الكفاية في هذه الحالة.

52

أحيانًا، قد ينشأ "التيار النجمي" بفكرة عاطفية قوية في الطرف الآخر من الخط، وقد يحدث هذا حتى لو لم يكن لدى المفكر أي نية من هذا القبيل. في القصة اللافتة للنظر التي سأقتبسها الآن، يتضح أن الرابط قد تشكل من خلال تفكير الطبيب المتكرر بالسيدة بروتون، مع أنه لم تكن لديه رغبة خاصة في أن ترى ما كان يفعله آنذاك. ويتجلى هذا النوع من الاستبصار في ثبات وجهة نظرها - والتي، مع ذلك، ليست وجهة نظر الطبيب التي نقلها بتعاطف (كما كان من الممكن)، لأنها رأت ظهره دون أن تتعرف عليه. يمكن الاطلاع على القصة في وقائع جمعية الأبحاث النفسية (المجلد الخامس).

)الفصل الثاني، صفحة ١٦٠.(

"استيقظت السيدة بروتون ذات ليلة من عام ١٨٤٤، وأيقظت زوجها، مُخبرةً إياه أن أمرًا مُريعًا قد حدث في فرنسا. توسل إليها أن تنام مجددًا، وألا تُزعجه. فأكدت له أنها لم تكن نائمة عندما رأت ما أصرت على إخباره به - ما رأته بالفعل.

"أولًا، حادث عربة - لم تره في الواقع، لكن ما رأته كان النتيجة - عربة مُعطّلة، وحشد مُتجمع، وشخصية رُفعت برفق وحُملت إلى أقرب منزل، ثم شخصية مُستلقية على سرير تعرفت عليه حينها على أنه دوق أورليانز. تدريجيًا، تجمع الأصدقاء حول السرير - من بينهم العديد من أفراد العائلة المالكة الفرنسية - الملكة، ثم الملك، جميعهم في صمت، دامعين، يُراقبون الدوق الذي كان يُحتضر على ما يبدو. كان أحد الرجال (الذين استطاعوا رؤية ظهره، لكنهم لم يعرفوا من هو) طبيبًا. وقف منحنيًا فوق الدوق، يتحسس نبضه، وساعته في يده الأخرى. ثم انطفأ كل شيء، ولم تعد ترى شيئًا.

"بمجرد أن طلع النهار، دوّنت في يومياتها كل ما رأته. كان ذلك قبل عصر التلغراف الكهربائي، ومرّ يومان أو أكثر قبل أن تُعلن صحيفة التايمز "وفاة دوق أورليانز."

وبعد فترة وجيزة، زارت باريس، فرأت مكان الحادث وتعرّفت عليه، وتلقّت تفسيرًا لانطباعها. كان الطبيب الذي عالج الدوق المحتضر صديقًا قديمًا لها، وبينما كان يراقبها بجانب السرير، كان ذهنه مشغولًا بها وبعائلتها".

ومن الأمثلة الشائعة على ذلك، تلك التي تُهيئ فيها العاطفة القوية التيار اللازم؛ ربما يتدفق تيار متواصل من الأفكار المتبادلة بين الطرفين في القضية، وتُضفي حاجة مفاجئة أو تطرفًا شديدًا من جانب أحدهما على هذا التيار مؤقتًا قوة الاستقطاب اللازمة لإنشاء التلسكوب النجمي. يُقتبس مثال توضيحي من نفس المحاضر (المجلد الأول، الصفحة 30).

في 9 سبتمبر 1848، أثناء حصار مولتان، أُصيب اللواء ر——، س. ب.، مساعد فوجه آنذاك، بجروح بالغة وخطيرة؛ ظنّ أنه يحتضر، فطلب من أحد الضباط الذين كانوا برفقته أن ينزع الخاتم من إصبعه ويرسله إلى زوجته، التي كانت آنذاك على بُعد مائة وخمسين ميلاً في فيروزبور.

كتبت زوجته: "في ليلة 9 سبتمبر 1848، كنت مستلقية على فراشي، بين النوم واليقظة، عندما رأيت زوجي يُنقل جريحًا من الميدان مصابًا بجروح بالغة، وسمعته يقول: "انزعوا هذا الخاتم من إصبعي وأرسلوه إلى زوجتي". طوال اليوم التالي، لم أستطع أن أمحو الصورة أو الصوت من ذاكرتي. في الوقت المناسب، سمعتُ عن إصابة الجنرال ر—— بجروح بالغة في هجوم مولتان. لكنه نجا، ولا يزال على قيد الحياة. لم أسمع من الجنرال ل——، الضابط الذي ساعد في نقل زوجي من الميدان، إلا بعد فترة من الحصار، أن طلب الخاتم كان من جانبه، تمامًا كما سمعتُه في فيروزبور في ذلك الوقت.

ثم هناك فئة كبيرة جدًا من الرؤى الاستبصارية العرضية التي لا يوجد لها سبب يمكن تتبعه - والتي يبدو أنها بلا معنى تمامًا، وليس لها علاقة واضحة بأي أحداث يعرفها الرائي. تنتمي إلى هذه الفئة العديد من المناظر الطبيعية التي رآها بعض الناس قبل أن يناموا مباشرة. أقتبسُ وصفًا رئيسيًا وواقعيًا للغاية لتجربة من هذا النوع من كتاب "قصص الأشباح الحقيقية" لـ دبليو. تي. ستيد (صفحة 65). ذهبتُ إلى السرير، لكنني لم أستطع النوم، فأغمضت عينيّ وانتظرت أن يحلّ النوم؛ لكن بدلًا من النوم، ظهرت لي سلسلة من الصور الغامضة والحيوية. لم يكن هناك ضوء في الغرفة، وكان الظلام دامسًا؛ وكنتُ مغمض العينين أيضًا. لكن رغم الظلام، أدركتُ فجأةً أنني أنظر إلى مشهدٍ ذي جمالٍ فريد. كان الأمر كما لو أنني رأيتُ مُجسمًا حيًا بحجم شريحة فانوس سحري. في هذه اللحظة، أستطيع تذكر المشهد كما لو أنني رأيته مرةً أخرى. كان مشهدًا ساحليًا.

54

كان القمر يُشرق على الماء، الذي كان يتموج ببطءٍ على الشاطئ. أمامي مباشرةً، انزلق خلدٌ طويلٌ في الماء.

على جانبي الخلد، انتصبت صخورٌ غير منتظمة فوق مستوى سطح البحر. على الشاطئ، وقفت عدة منازل، مربعة وبسيطة، لا تُشبه أي شيءٍ رأيته في العمارة المنزلية من قبل. لم يكن أحد يتحرك، لكن القمر كان هناك، والبحر، وبريق ضوء القمر على المياه المتلاطمة، كما لو كنتُ أنظر إلى المشهد نفسه.

"كان جميلاً لدرجة أنني أتذكر أنني فكرتُ أنه لو استمر، لكنتُ مهتماً بمشاهدته لدرجة أنني لن أنام أبداً. كنتُ مستيقظاً تماماً، وفي الوقت نفسه الذي رأيتُ فيه المشهد، سمعتُ بوضوح صوت قطرات المطر خارج النافذة. ثم فجأة، ودون أي سبب أو دافع واضح، تغير المشهد.

"اختفى البحر المُضاء بضوء القمر، وفي مكانه كنتُ أنظر مباشرة إلى داخل قاعة قراءة. بدا الأمر كما لو أنها استُخدمت كفصل دراسي في النهار، واستُخدمت كقاعة قراءة في في المساء. أتذكر رؤية قارئٍ يُشبه تيم هارينغتون بشكلٍ غريب، مع أنه لم يكن هو، يرفع مجلةً أو كتابًا في يده ويضحك. لم تكن صورةً، بل كانت هناك.

"كان المشهد كما لو كنت تنظر من خلال منظارٍ أوبرا؛ ترى حركة العضلات، ولمعان العين، وكل حركةٍ للأشخاص المجهولين في المكان المجهول الذي كنت تحدق فيه. رأيتُ كل ذلك دون أن أفتح عينيّ، ولم يكن لعينيّ أي علاقةٍ به. ترى مثل هذه الأشياء كما لو كانت بحاسةٍ أخرى، داخل رأسك أكثر منها في عينيك".

"كانت هذه تجربةً سيئةً وهزيلةً للغاية، لكنها مكّنتني من فهم كيفية رؤية العرافين بشكلٍ أفضل من أي قدرٍ من النقاش." لم تكن الصورة مناسبة لأي شيء؛ لم يُوحِ بها شيء مما كنت أقرأه أو أتحدث عنه؛ لقد جاءت ببساطة كما لو كنت قادرًا على النظر من خلال مرآة إلى ما كان يحدث في مكان آخر من العالم. لقد رأيتُ رؤيتي، ثم اختفت، ولم أعانِ من تكرار تجربة مماثلة.

55

يعتبر السيد ستيد ذلك "تجربةً هزيلةً وهزيلةً"، وربما يُعتبر كذلك مقارنةً بالاحتمالات الأكبر، ومع ذلك، أعرف العديد من الطلاب الذين سيكونون ممتنين للغاية لامتلاكهم حتى هذا القدر من الخبرة الشخصية المباشرة ليخبروا بها. على الرغم من صغرها في حد ذاتها، إلا أنها تُعطي الرائي على الفور دليلًا على الأمر برمته، وستكون الاستبصار حقيقةً حيةً لرجل رأى

حتى هذا القدر بطريقةٍ ما كان ليحدث لولا تلك اللمسة البسيطة مع العالم الخفي. كانت هذه الصور واضحةً للغاية بحيث لا يمكن اعتبارها مجرد انعكاسات لأفكار الآخرين، بالإضافة إلى ذلك، يُظهر الوصف بوضوح أنها كانت مناظر تُرى من خلال تلسكوب نجمي؛ لذا، إما أن السيد ستيد قد حرك تيارًا بنفسه دون وعي منه، أو (وهو الأرجح) أن كيانًا نجميًا لطيفًا حركه، وأعطاه، لتمضية وقته الممل، أي صورٍ وجدتها في نهاية الأنبوب.

56

الفصل 7. الاستبصار في الزمن: الماضي

يمتلك الناس، كغيرهم من الأنواع الأخرى، الاستبصار في الزمن - أي القدرة على قراءة الماضي والمستقبل - بدرجات متفاوتة، بدءًا من الشخص الذي يتحكم بكلتا الملكتين بالكامل، وصولًا إلى من لا يحصل إلا بين الحين والآخر على لمحات أو انعكاسات لا إرادية وغير كاملة لهذه المشاهد من أيام أخرى. قد تكون لدى شخص من النوع الأخير، على سبيل المثال، رؤية لحدث ما في الماضي؛ لكنها ستكون عرضة لأشد أنواع التشويه، وحتى لو كانت دقيقة إلى حد ما، فمن شبه المؤكد أنها ستكون مجرد صورة معزولة، وربما يعجز تمامًا عن ربطها بما حدث قبلها أو بعدها، أو تفسير أي شيء غير عادي قد يظهر فيها. من ناحية أخرى، يستطيع الرجل المتمرس أن يتتبع الأحداث المرتبطة بصورته ذهابًا وإيابًا إلى أي مدى قد يبدو مرغوبًا فيه، وأن يتتبع بنفس السهولة الأسباب التي أدت إليها أو النتائج التي ستُسفر عنها.

ربما نجد من الأسهل فهم هذا الجزء الصعب نوعًا ما من موضوعنا إذا نظرنا إليه في التقسيمات الفرعية التي تطرح نفسها بطبيعة الحال، وتناولنا أولاً الرؤية التي تنظر إلى الماضي، تاركين للفحص لاحقًا ما يشق حجاب المستقبل. في كل حالة، سيكون من الجيد لنا أن نحاول فهم ما نستطيع من طريقة العمل، حتى وإن كان نجاحنا في أحسن الأحوال محدودًا للغاية، وذلك أولًا بسبب المعلومات غير الكاملة عن بعض جوانب الموضوع التي يمتلكها باحثونا حاليًا، وثانيًا بسبب الفشل المتكرر للكلمات الفيزيائية في التعبير عن جزء مئة من القليل الذي نعرفه عن المستويات والقدرات العليا.

ففي حالة الرؤية التفصيلية للماضي البعيد، كيف نحصل عليها، وإلى أي مستوى من مستويات الطبيعة تنتمي حقًا؟ تكمن الإجابة على هذين السؤالين في أنها تُقرأ من السجلات الآكاشية؛ لكن هذه العبارة ستتطلب في المقابل قدرًا من الشرح لكثير من القراء. في الحقيقة، هذه الكلمة تسمية خاطئة نوعًا ما، فرغم أن السجلات تُقرأ بلا شك من الآكاشا، أو مادة المستوى العقلي، إلا أنها لا تنتمي إليه حقًا. والأسوأ من ذلك هو العنوان البديل 57، "سجلات الضوء النجمي"، الذي استُخدم أحيانًا، لأن هذه السجلات تقع أبعد بكثير من المستوى النجمي، وكل ما يمكن الحصول عليه منه ليس سوى لمحات متقطعة لنوع من الانعكاس المزدوج لها، كما سيتم شرحه لاحقًا.

ومثل العديد من مصطلحاتنا الثيوصوفية الأخرى، استُخدمت كلمة "أكاشا" بشكل فضفاض للغاية. في بعض كتبنا السابقة، اعتُبرت مرادفة للضوء النجمي، وفي كتب أخرى استُخدمت للدلالة على أي نوع من المواد غير المرئية، من مولابراكريتي وصولًا إلى الأثير المادي. في الكتب اللاحقة، اقتصر استخدامها على مادة المستوى العقلي، وهي في هذا المعنى الذي يُفترض أن تُوصف به السجلات بأنها آكاشية، فرغم أنها لم تُصنع أصلاً على هذا المستوى،

كما لم تُصنع على المستوى النجمي، إلا أنه هناك نتواصل معها للمرة الأولى بشكل نهائي، ونجد أنه من الممكن إجراء عمل موثوق بها عليها.

هذا الموضوع من السجلات ليس بالأمر السهل على الإطلاق، لأنه من تلك الفئة العديدة التي تتطلب لفهمها الكامل قدرات من مستوى أعلى بكثير من أي مستوى تطورت فيه البشرية حتى الآن. يكمن الحل الحقيقي لمشكلاته في مستويات تتجاوز بكثير أي مستوى يمكننا معرفته حاليًا، وأي نظرة نتخذها عنه لا بد أن تكون ناقصة للغاية، إذ لا يسعنا إلا أن ننظر إليه من الأسفل بدلاً من الأعلى. لذلك، يجب أن تكون الفكرة التي نكوّنها عنه جزئية فقط، ومع ذلك لا داعي لتضليلنا إلا إذا سمحنا لأنفسنا بالتفكير في الجزء الصغير الذي هو كل ما يمكننا رؤيته كما لو كان الكل الكامل. إذا حرصنا على أن تكون مفاهيمنا دقيقةً تمامًا، فلن نفقد شيئًا، مع أننا سنضيف الكثير، عندما نكتسب تدريجيًا، في سياق تقدمنا، الحكمة العليا. فليُفهم إذن منذ البداية أن الفهم التام لموضوعنا أمرٌ مستحيل في المرحلة الحالية من تطورنا، وأن العديد من النقاط ستُطرح دون تفسير دقيق حتى الآن، مع أنه قد يكون من الممكن في كثير من الأحيان اقتراح مقارنات وتحديد الخطوط التي يجب أن يسير عليها التفسير. فلنحاول إذًا العودة بأفكارنا إلى بداية هذا النظام الشمسي الذي ننتمي إليه. جميعنا على دراية بالنظرية الفلكية الشائعة حول أصله - والتي تُسمى عادةً فرضية السديم - والتي تنص على أنه نشأ أولًا كسديم متوهج عملاق، يتجاوز قطره مدار أبعد الكواكب، ثم، مع مرور عصور لا تُحصى، بردت تلك الكرة الهائلة وانكمش حجمها تدريجيًا، وتشكل النظام كما نعرفه.

يقبل علم الغيب هذه النظرية، في خطوطها العريضة، على أنها تُمثل الجانب المادي البحت لتطور نظامنا تمثيلًا صحيحًا، ولكنه يُضيف أنه إذا حصرنا اهتمامنا في هذا الجانب المادي فقط، فستكون لدينا فكرة ناقصة وغير متماسكة عما حدث بالفعل. يُفترض، بدايةً، أن الكائن السامي الذي يتولى تشكيل نظام (والذي نسميه أحيانًا لوغوس النظام) يُكوّن في ذهنه، قبل كل شيء، تصورًا كاملًا له بكل سلاسله العوالم المتتالية. وبفعل تشكيل هذا التصور، فإنه يدعو الكل إلى وجود موضوعي متزامن على مستوى فكره - وهو مستوى أعلى بكثير بالطبع من كل ما نعرف عنه شيئًا - والذي تنحدر منه العوالم المختلفة عند الحاجة إلى أي حالة من الموضوعية الإضافية قد تكون مُقدّرة لها على التوالي.

ما لم نضع في اعتبارنا باستمرار حقيقة الوجود الحقيقي للنظام بأكمله منذ البداية على مستوى أعلى، فسنظل نسيء فهم التطور المادي الذي نراه يحدث هنا.

لكن علم الغيب يُعلّمنا أكثر من هذا في هذا الموضوع. إنه لا يخبرنا فقط أن هذا النظام الرائع الذي ننتمي إليه قد وُجد بفضل الكلمة، على المستويين الأدنى والأعلى، بل يخبرنا أيضًا أن علاقته به أقرب من ذلك، لأنه جزء منه تمامًا - تعبير جزئي عنه على المستوى المادي - وأن

حركة وطاقة النظام بأكمله هي طاقته، وكلها مستمرة ضمن حدود هالته. ورغم روعة هذا المفهوم، إلا أنه لن يكون مستحيلًا تمامًا على من درس موضوع الهالة. نحن على دراية بفكرة أنه مع تقدم الشخص في المسار التصاعدي، فإن جسده السببي، وهو الحد المحدد لهالته، يزداد بشكل واضح في الحجم وكذلك في السطوع ونقاء اللون. يعلم الكثير منا من التجربة أن هالة التلميذ الذي أحرز تقدمًا ملحوظًا على الطريق أكبر بكثير من هالة من لا يزال يخطو خطواته الأولى، بينما في حالة المريد، تكون الزيادة النسبية أكبر بكثير. نقرأ في الكتب الشرقية البديهية عن الامتداد الهائل لهالة بوذا؛ أعتقد أن ثلاثة أميال ذُكرت في إحدى المناسبات كحدها، ولكن مهما كان القياس الدقيق، فمن الواضح أن لدينا هنا سجلًا آخر لهذه الحقيقة المتمثلة في النمو السريع للغاية للجسم السببي مع تقدم الإنسان في طريقه التصاعدي. لا شك أن معدل هذا النمو سيزداد في حد ذاته بشكل متوالٍ هندسي، لذا لا داعي للدهشة أن نسمع عن مريد على مستوى أعلى، هالته قادرة على أن تشمل العالم بأسره دفعة واحدة؛ ومن هنا يمكننا أن نقود عقولنا تدريجيًا إلى مفهوم وجود كائن سامٍ لدرجة أنه يستطيع أن يستوعب في داخله كل شيء.

نظامنا الشمسي. وعلينا أن نتذكر أن هذا، مهما بدا لنا هائلاً، ليس إلا قطرة ضئيلة في محيط الفضاء الشاسع.

وكذلك بالنسبة للوغوس (الذي يمتلك كل القدرات والصفات التي يمكننا أن نمنحها للإله الأسمى الذي نتصوره)، فمن الصحيح حرفياً، كما قيل قديماً، أن "منه وبه وإليه كل الأشياء"، و"به نحيا ونتحرك ونوجد."

وإذا كان الأمر كذلك، فمن الواضح أن كل ما يحدث داخل نظامنا يحدث تماماً في وعي لوغوسه، وهكذا نرى فوراً أن السجل الحقيقي لا بد أن يكون ذاكرته؛ بل من الواضح أيضاً أنه على أي مستوى توجد تلك الذاكرة العجيبة، لا بد أن تكون أعلى بكثير من أي شيء نعرفه، وبالتالي، فإن أي سجلات قد نجد أنفسنا قادرين على قراءتها لا بد أن تكون مجرد انعكاس لتلك الحقيقة المهيمنة العظيمة، منعكسة في الوسائط الأكثر كثافة في المستويات الدنيا. على المستوى النجمي، يتضح جليًا أن الأمر كذلك - ما نتعامل معه ليس سوى انعكاس لانعكاس، وهو انعكاس ناقص للغاية، فالسجلات المتاحة مجزأة إلى أقصى حد، وغالبًا ما تكون مشوهة بشكل خطير. نعلم كيف يُستخدم الماء عالميًا كرمز للضوء النجمي، وفي هذه الحالة تحديدًا، يُعد رمزًا مناسبًا للغاية. من سطح الماء الراكد، قد نحصل على انعكاس واضح للأشياء المحيطة، تمامًا كما هو الحال في المرآة؛ ولكن في أحسن الأحوال، يكون مجرد انعكاس - تمثيل في بُعدين لأشياء ثلاثية الأبعاد، وبالتالي يختلف في جميع صفاته، باستثناء اللون، عما يمثله؛ بالإضافة إلى ذلك، يكون دائمًا معكوسًا.

ولكن دع الريح تهب على سطح الماء، فماذا نجد إذن؟ انعكاسٌ لا يزال، بالتأكيد، ولكنه مُتقطعٌ ومُشوّهٌ لدرجةٍ تجعله عديم الفائدة، بل مُضلّلاً، كدليلٍ على شكل الأشياء المُنعكسة ومظهرها الحقيقي. قد نحصل هنا وهناك، ولو للحظة، على انعكاسٍ واضحٍ لجزءٍ صغيرٍ من المشهد - لورقةٍ واحدةٍ من شجرةٍ مثلاً؛ لكن الأمر يتطلب جهداً طويلاً ومعرفةً واسعةً بالقوانين الطبيعية لبناء أي شيءٍ يُشبه مفهوماً حقيقياً عن الشيء المُنعكس، وذلك بتجميع حتى عددٍ كبيرٍ من هذه الشظايا المُنعزلة من صورةٍ له.

في المستوى النجمي، لا يُمكننا أبداً أن نحصل على أي شيءٍ يُقارب ما تخيّلناه كسطحٍ ساكن، بل على العكس، علينا دائماً أن نتعامل مع سطحٍ في حركةٍ سريعةٍ ومُحيّرة؛ لذا، فكّر في مدى ضآلة ما يُمكننا الاعتماد عليه في الحصول على انعكاسٍ واضحٍ ومُحدّد. وهكذا، لا يُمكن للمُبصر الذي يمتلك فقط ملكةَ الإبصار النجمي أن يعتمد على أي صورةٍ للماضي تأتي أمامه على أنها دقيقةٌ وكاملة. قد يكون جزءٌ منه هنا وهناك صحيحًا، لكن لا يملك وسيلةً لمعرفة أيّهما صحيح.

إذا كان تحت رعاية مُعلّمٍ كفؤ، فقد يُعلّم، من خلال تدريبٍ طويلٍ ودقيق، كيفية التمييز بين الانطباعات الموثوقة وغير الموثوقة، وكيفية بناء صورةٍ ما للشيء المنعكس من الانعكاسات المتقطعة؛ ولكن عادةً ما يكون قد طوّر البصيرة الذهنية قبل أن يتغلب على هذه الصعوبات بوقتٍ طويل، مما يُغني عن هذا الجهد.

في المستوى التالي، الذي نُسمّيه المستوى الذهني، تختلف الظروف اختلافًا كبيرًا.

هناك يكون السجلّ كاملًا ودقيقًا، ويستحيل ارتكاب أي خطأ في القراءة. أي أنه إذا اتفق ثلاثةٌ من العرافين ذوي القدرات الذهنية على فحص سجلٍّ مُعيّن هناك، فإن ما سيُعرض على رؤيتهم سيكون نفس الانعكاس تمامًا في كل حالة، وسيكتسب كلٌّ منهم انطباعًا صحيحًا منه عند قراءته. ومع ذلك، لا يعني ذلك أنه عندما يقارنون جميعًا ملاحظاتهم لاحقًا على المستوى المادي، ستتوافق رواياتهم تمامًا. من المعروف أنه إذا شرع ثلاثة أشخاص يشهدون حدثًا هنا في العالم المادي في وصفه لاحقًا، فستختلف رواياتهم اختلافًا كبيرًا،

61

لأن كلًا منهم سيلاحظ تحديدًا العناصر التي تجذبه أكثر، وسيجعلها، دون وعي، السمات البارزة للحدث، متجاهلًا أحيانًا نقاطًا أخرى كانت في الواقع أكثر أهمية بكثير.

أما في حالة الملاحظة على المستوى الذهني، فلن تؤثر هذه المعادلة الشخصية بشكل ملحوظ على الانطباعات المُستقبلة، لأنه بما أن كل شخص سيستوعب الموضوع برمته تمامًا، فسيكون من المستحيل عليه رؤية أجزائه بشكل غير متناسب؛ ولكن، باستثناء الأشخاص المدربين

تدريبًا دقيقًا وذوي الخبرة، فإن هذا العامل يلعب دورًا في نقل الانطباعات إلى المستويات الأدنى. من طبيعة الأشياء أن يكون أي وصف يُقدَّم هنا لرؤية أو تجربة على المستوى العقلي كاملاً، لأن تسعة أعشار ما يُرى ويُحس به هناك لا يمكن التعبير عنه بالكلمات المادية إطلاقًا؛ وبما أن كل تعبير يجب أن يكون جزئيًا، فمن البديهي أن هناك إمكانية لاختيار الجزء المعبر عنه. ولهذا السبب في جميع أبحاثنا الثيوصوفية في السنوات الأخيرة، تم التركيز بشكل كبير على التدقيق والتحقق المستمرين من شهادة العراف، ولا شيء يعتمد على رؤية شخص واحد فقط سُمح له بالظهور في كتبنا اللاحقة.

ولكن حتى عندما يتم تقليل احتمالية الأخطاء الناجمة عن هذا العامل من المعادلة الشخصية إلى الحد الأدنى من خلال نظام دقيق للتحقق المضاد،

لا تزال هناك صعوبة بالغة متأصلة في عملية إنزال الانطباعات من مستوى أعلى إلى مستوى أدنى.

هذا يشبه الصعوبة التي يواجهها الرسام في محاولته إعادة إنتاج منظر طبيعي ثلاثي الأبعاد على سطح مستوٍ - أي عمليًا في بُعدين. فكما يحتاج الفنان إلى تدريب طويل ودقيق للعين واليد قبل أن يتمكن من إنتاج تمثيل مُرضٍ للطبيعة، كذلك يحتاج العراف إلى تدريب طويل ودقيق قبل أن يتمكن من وصف دقيق على مستوى أدنى ما يراه على مستوى أعلى؛ واحتمال الحصول على وصف دقيق من شخص غير مُدرَّب يُعادل تقريبًا احتمال الحصول على منظر طبيعي مُكتمل من شخص لم يتعلم الرسم قط.

يجب أن نتذكر أيضًا أن الصورة الأكثر كمالًا هي في الواقع أبعد ما تكون عن أن تكون إعادة إنتاج للمشهد الذي تُمثله، إذ لا يكاد يوجد خط أو زاوية فيها تُضاهي تلك الموجودة في الشيء المُنسوخ. إنها ببساطة محاولة بارعة للغاية لتكوين انطباع على إحدى حواسنا الخمس فقط، من خلال خطوط وألوان على سطح مستوٍ، يُشبه الانطباع الذي كان سيتكون لو كان المشهد المُصوَّر أمامنا بالفعل. باستثناء إيحاء يعتمد كليًا على تجربتنا السابقة، لا يُمكنها أن تنقل إلينا شيئًا عن هدير البحر، أو رائحة الزهور، أو طعم الفاكهة، أو نعومة أو صلابة السطح المرسوم. من طبيعة مماثلة تمامًا، وإن كانت أكبر بكثير، الصعوبات التي يواجهها العراف في محاولته وصف ما رآه على المستوى النجمي على المستوى المادي؛ وتزداد هذه الصعوبات بشكل كبير لأنه، بدلاً من مجرد تذكير مستمعيه بمفاهيم مألوفة لديهم بالفعل، كما يفعل الفنان عندما يرسم الرجال أو الحيوانات أو الحقول أو الأشجار، عليه أن يسعى جاهدًا، باستخدام الوسائل غير الكاملة المتاحة له، إلى إيحاء مفاهيم تكون في معظم الحالات جديدة عليهم تمامًا. فلا عجب إذن، مهما بدت أوصافه حية ومؤثرة لجمهوره، أن ينبهر هو نفسه باستمرار بنقصها التام، وأن يشعر بأن أفضل جهوده قد فشلت تمامًا في نقل أي فكرة عما يراه حقًا. ويجب أن

نتذكر أنه في حالة التقرير المقدم هنا عن سجل قُرئ على المستوى العقلي، فإن عملية النقل الصعبة هذه من الأعلى إلى الأدنى قد حدثت مرتين، ليس مرة واحدة، لأن الذاكرة قد استُقدمت عبر المستوى النجمي الفاصل. حتى في حالة تمتع الباحث بميزة تطوير قدراته العقلية بحيث يتمكن من استخدامها وهو مستيقظ في الجسد المادي، فإنه لا يزال يُعيقه عجز اللغة المادية التام عن التعبير عما يراه.

حاول للحظة أن تُدرك تمامًا ما يُسمى بالبعد الرابع، الذي ذكرناه في فصل سابق. من السهل جدًا أن نفكر في أبعادنا الثلاثة - أن نتخيل في أذهاننا طول وعرض وارتفاع أي شيء؛
وسنرى أن كلًا من هذه الأبعاد الثلاثة يُعبر عنه بخط متعامد على البعدين الآخرين. فكرة البعد الرابع هي أنه قد يكون من الممكن رسم خط رابع يكون متعامدًا على الأبعاد الثلاثة الموجودة بالفعل. ٦٣

العقل العادي لا يستوعب هذه الفكرة إطلاقًا، مع أن قلة ممن درسوا هذا الموضوع دراسةً خاصة تمكنوا تدريجيًا من إدراك شكل أو شكلين بسيطين للغاية رباعيي الأبعاد.

ومع ذلك، لا يمكن لأي كلمات يستخدمونها في هذا المجال أن تستحضر صورةً لهذه الأشكال في أذهان الآخرين، وإذا بذل أي قارئ لم يُدرّب نفسه على هذا النهج جهدًا لتصور مثل هذا الشكل، فسيجده مستحيلًا تمامًا. إن التعبير عن هذا الشكل بوضوح بكلمات مادية هو في الواقع وصف دقيق لجسم واحد من المستوى النجمي؛ ولكن عند فحص السجلات على المستوى العقلي، لا بد أن نواجه صعوبات إضافية تتعلق بالبعد الخامس! لذا، فإن استحالة شرح هذه السجلات بشكل كامل ستكون واضحة حتى لأكثر الملاحظات سطحية.

لقد تحدثنا عن السجلات على أنها ذاكرة الكلمة، إلا أنها أكثر بكثير من مجرد ذاكرة بالمعنى العادي للكلمة. قد يكون من المستحيل أن نتخيل كيف تظهر هذه الصور من وجهة نظره، لكننا نعلم أنه كلما ارتفعنا أكثر فأكثر، يجب أن نقترب من الذكرى الحقيقية - يجب أن نرى بشكل أوثق كما يراه؛ لذا، يُعلق اهتمام كبير على تجربة العراف فيما يتعلق بهذه السجلات عندما يقف على المستوى البوذي - وهو المستوى الأعلى الذي يمكن أن يبلغه وعيه حتى وهو بعيد عن الجسد المادي حتى يبلغ مستوى الأرهات.

هنا لم يعد الزمان والمكان يحدانه؛ لم يعد بحاجة، كما هو الحال في المستوى العقلي، إلى استعراض سلسلة من الأحداث، فالماضي والحاضر والمستقبل جميعها حاضرة لديه في آن واحد، على الرغم من أن ذلك يبدو بلا معنى هنا. في الواقع، حتى في هذا المستوى الرفيع، حتى تحت وعي الكلمة، يتضح جليًا مما نراه هناك أن السجل بالنسبة له يجب أن يكون أكثر بكثير مما نسميه ذاكرة، فكل ما حدث في الماضي وكل ما سيحدث في المستقبل يحدث الآن أمام عينيه، تمامًا كما هي أحداث ما نسميه الحاضر. أمر لا يُصدق تمامًا، وغير مفهوم على

نطاق واسع، بالطبع، لفهمنا المحدود؛ ومع ذلك فهو صحيح تمامًا في كل ذلك. بطبيعة الحال، لا يمكننا أن نتوقع في مرحلتنا المعرفية الحالية أن نفهم كيف تُنتَج هذه النتيجة العجيبة، وأن محاولة تفسيرها لن تكون سوى توريط أنفسنا في سيل من الكلمات التي لن نحصل منها على أي معلومات حقيقية. ومع ذلك، يخطر ببالي خطٌّ فكريٌّ ربما يوحي بالاتجاه الذي قد يسلكه هذا التفسير؛ وأي شيء يساعدنا على إدراك أن مثل هذه العبارة المذهلة قد لا تكون مستحيلة تمامًا، سيكون مفيدًا في توسيع مداركنا.

أتذكر أنني قرأت قبل نحو ثلاثين عامًا كتابًا صغيرًا مثيرًا للاهتمام، يُدعى، على ما أعتقد، "النجوم والأرض"، وكان هدفه السعي إلى توضيح كيف يُمكن علميًا، في نظر الله، أن يكون الماضي والحاضر متزامنين تمامًا. بدت لي حججه آنذاك بارعةً للغاية، وسأُلخّصها لاحقًا، لأنني أعتقد أنها ستكون ذات دلالة فيما يتعلق بالموضوع الذي كنا نناقشه. عندما نرى أي شيء، سواءً كان كتابًا بين أيدينا أو نجمًا يبعد ملايين الأميال، فإننا نفعل ذلك عن طريق اهتزاز في الأثير، يُسمى عادةً شعاع الضوء، ينتقل من الجسم المرئي إلى أعيننا. سرعة مرور هذا الاهتزاز هائلة جدًا - حوالي 186,000 ميل في الثانية - لدرجة أننا عندما نفكر في أي جسم في عالمنا، قد نعتبره لحظيًا تقريبًا. أما عندما نتعامل مع المسافات بين الكواكب، فعلينا أن نأخذ سرعة الضوء في الاعتبار، إذ يستغرق عبور هذه المساحات الشاسعة وقتًا طويلاً. على سبيل المثال، يستغرق الضوء ثماني دقائق وربعًا لينتقل إلينا من الشمس، لذا عندما ننظر إلى الكرة الشمسية، نراها عن طريق شعاع ضوء انطلق منها منذ أكثر من ثماني دقائق. ومن هنا تنبع نتيجة غريبة للغاية. من الواضح أن شعاع الضوء الذي نرى به الشمس لا ينقل إلينا إلا الحالة التي كانت عليها في ذلك النجم عندما بدأ رحلته، ولن يتأثر بأي شيء يحدث هناك بعد مغادرته؛ لذا فإننا نرى الشمس حقًا ليس كما هي، بل كما كانت قبل ثماني دقائق. وهذا يعني أنه إذا حدث أي شيء مهم في الشمس - كتكوين بقعة شمسية جديدة، على سبيل المثال - فإن عالم الفلك الذي كان يراقب الكرة من خلال تلسكوبه في ذلك الوقت لن يكون على دراية بالحادثة أثناء حدوثها، لأن شعاع الضوء الذي يحمل الخبر لن يصل إليه إلا بعد أكثر من ثماني دقائق.

65

ويبدو الفرق أكثر وضوحًا عندما ننظر إلى النجوم الثابتة، لأن المسافات في حالتها أكبر بكثير. نجم القطب، على سبيل المثال، بعيد جدًا لدرجة أن الضوء، الذي يسافر بالسرعة التي لا يمكن تصورها المذكورة أعلاه، يستغرق ما يزيد قليلاً عن خمسين عامًا للوصول إلى أعيننا؛ ومن ذلك يترتب على ذلك استنتاج غريب، وإن كان حتميًا، أننا نرى نجم القطب، لا كما هو عليه الآن، بل كما كان عليه قبل خمسين عامًا. بل لو حدثت كارثة كونية غدًا وحطمت نجم القطب إلى شظايا، لظللنا نراه ساطعًا في السماء طوال حياتنا؛ وسيكبر أبناؤنا ويجمعون شملهم حولهم

قبل أن تصل أخبار تلك الحادثة المروعة إلى أي عين أرضية. وبالمثل، هناك نجوم أخرى بعيدة جدًا لدرجة أن الضوء يستغرق آلاف السنين ليقطعها منا، وبالتالي فإن معلوماتنا عن حالتها متأخرة آلاف السنين عن الزمن. الآن، لننتقل إلى أبعد من ذلك. لنفترض أننا استطعنا وضع رجل على مسافة 186,000 ميل من الأرض، ومع ذلك منحناه موهبة رائعة، وهي أن يتمكن من رؤية ما يحدث هنا من تلك المسافة بوضوح كما لو كان لا يزال قريبًا منا. من الواضح أن الرجل الذي في مثل هذا الوضع سيرى كل شيء بعد ثانية من الوقت الذي حدث فيه بالفعل، وبالتالي في اللحظة الحالية سيرى ما حدث.

قبل ثانية. ضاعف المسافة، فسيكون متأخرًا عن الزمن ثانيتين، وهكذا دواليك؛ انقله إلى مسافة الشمس (مع احتفاظه بنفس قوة الإبصار الغامضة) وسينظر إليك وأنت لا تفعل ما تفعله الآن، بل ما كنت تفعله قبل ثماني دقائق وربع. احمله بعيدًا إلى النجم القطبي، وسيرى أحداثًا وقعت قبل خمسين عامًا تمر أمام عينيه؛ سيشاهد حركات طفولية لأولئك الذين كانوا في نفس اللحظة رجالًا في منتصف العمر. قد يبدو هذا رائعًا، لكنه صحيح حرفيًا وعلميًا، ولا يمكن إنكاره.

وواصل الكتاب الصغير الجدل منطقيًا بما فيه الكفاية بأن الله، لكونه قديرًا، لا بد أن يمتلك قوة الإبصار الرائعة التي افترضناها لما نراه؛ وعلاوة على ذلك، ولأنه حاضر في كل مكان، فلا بد أن يكون في كل محطة من المحطات التي ذكرناها، وأيضًا في كل نقطة وسيطة، ليس على التوالي بل في آن واحد. بقبول هذه المقدمات، يترتب على ذلك استنتاجٌ لا مفر منه

66

أن كل ما حدث منذ بدء العالم لا بد أن يكون في هذه اللحظة بالذات يحدث أمام عين الله - ليس مجرد ذكرى له، بل الحدث نفسه تحت مراقبته.

كل هذا ماديٌّ بما فيه الكفاية، وعلى مستوى العلم الفيزيائي البحت،

ولذلك يمكننا أن نتأكد من أن هذه ليست الطريقة التي تعمل بها ذاكرة الكلمة؛ ومع ذلك فهي مُحكمة الصنع ولا تقبل الجدل إطلاقًا، وكما قلتُ سابقًا، فهي ليست بلا فائدة، لأنها تُعطينا لمحة عن بعض الاحتمالات التي قد لا تخطر ببالنا لولا ذلك.

ولكن، قد يُسأل: كيف يُمكن، وسط هذا التشويش المُحير لهذه السجلات الماضية، العثور على أي صورة مُحددة عند الحاجة إليها؟

في الواقع، لا يستطيع المُبصِر غير المُدرَّب عادةً القيام بذلك دون وجود رابط خاص يضعه على صلة بالموضوع المطلوب.

القياس النفسي مثالٌ واضحٌ على ذلك، ومن المرجح جدًا أن ذاكرتنا العادية ليست في الواقع سوى عرضٍ آخر لنفس الفكرة. يبدو الأمر كما لو أن هناك ارتباطًا مغناطيسيًا أو قرابةً بين أي جسيمٍ من المادة والسجل الذي يحتوي على تاريخه - قرابةٌ تُمكّنه من العمل كنوعٍ من الموصل بين ذلك السجل وقدرات أي شخصٍ يستطيع قراءته.

على سبيل المثال، أحضرتُ ذات مرةٍ من ستونهنج قطعةً صغيرةً من الحجر، لا يزيد حجمها عن رأس دبوس، وعندما وضعتُها في مظروفٍ وأعطيتها لمقياسٍ نفسيٍّ لم يكن لديه أدنى فكرةٍ عن ماهيتها، بدأت على الفور في وصف ذلك الخراب الرائع والريف المُقفر المُحيط به، ثم انتقلت إلى تصويرٍ حيٍّ لما بدا واضحًا أنه مشاهد من تاريخها المُبكر، مُظهرةً أن تلك القطعة الصغيرة كانت كافيةً لجعلها على تواصلٍ مع السجلات المُتعلقة بالمكان الذي أتت منه. يبدو أن المشاهد التي نمر بها خلال حياتنا تؤثر على خلايا أدمغتنا بنفس الطريقة التي أثر بها تاريخ ستونهنج على تلك القطعة الحجرية؛ فهي تُنشئ رابطًا مع تلك الخلايا التي تُمكّن عقلنا من التناغم مع ذلك الجزء من السجلات، فنتذكر ما رأيناه.

67

حتى المُبصِر المُدرَّب يحتاج إلى رابط ما ليتمكن من العثور على سجل حدث لم يسبق له معرفته به. على سبيل المثال، إذا رغب في مشاهدة هبوط يوليوس قيصر على شواطئ إنجلترا، فهناك عدة طرق يُمكنه من خلالها مُقاربة الموضوع. إذا تصادف أن زار موقع الحدث، فربما تكون أبسط طريقة هي استحضار صورة ذلك المكان، ثم مراجعة سجلاته حتى يصل إلى الفترة المطلوبة. لو لم يرَ المكان، لربما رجع بالزمن إلى تاريخ الحدث، ثم بحث في القناة عن أسطول من القوادس الرومانية؛ أو ربما فحص سجلات الحياة الرومانية في تلك الفترة تقريبًا، حيث لم يكن ليجد صعوبة في تحديد شخصية بارزة مثل قيصر، أو في تتبع أثره عندما عُثر عليه خلال جميع حروبه الغالية حتى وطأت قدماه الأراضي البريطانية. كثيرًا ما يتساءل الناس عن شكل هذه السجلات - هل تبدو قريبة أم بعيدة عن العين، وهل الشخصيات فيها كبيرة أم صغيرة، وهل تتوالى الصور كما في بانوراما أم تذوب في أخرى كمناظر متلاشية، وهكذا. لا يسع المرء إلا أن يجيب بأن مظهرها يختلف إلى حد ما وفقًا للظروف التي تُرى فيها. على المستوى النجمي، غالبًا ما يكون الانعكاس صورة بسيطة، على الرغم من أن الشخصيات المرئية تكون أحيانًا متحركة؛ في هذه الحالة الأخيرة، بدلًا من مجرد لقطة سريعة، حدثت انعكاسات أطول وأكثر كمالًا. على المستوى الذهني، لها جانبان مختلفان تمامًا. عندما لا يُفكّر الزائر في هذا المستوى بها بشكل خاص بأي شكل من الأشكال، تُشكّل السجلات مجرد خلفية لما يحدث، تمامًا كما تُشكّل الانعكاسات في مرآة في نهاية الغرفة خلفية.

تدور حول حياة الناس فيها. يجب أن نضع دائمًا في الاعتبار أنها في ظل هذه الظروف ليست في الواقع سوى انعكاسات للنشاط المتواصل لوعي عظيم على مستوى أعلى بكثير، وتبدو إلى حد كبير وكأنها سلسلة لا نهاية لها من الصور السينمائية، أو الصور الحية التي تم اختراعها حديثًا. إنها لا تذوب في بعضها البعض كمناظر تذوب، ولا تتوالى سلسلة من الصور العادية؛ بل إن عمل شخصيات الانعكاس مستمر باستمرار، كما لو كان المرء يراقب الممثلين على خشبة مسرح بعيدة.

68

ولكن إذا ركز الباحث المتمرس انتباهه على مشهد واحد، أو رغب في استحضاره أمامه، يحدث تغيير غير عادي على الفور، لأن هذا هو مستوى الفكر، والتفكير في أي شيء هو إحضاره أمامك على الفور. على سبيل المثال، إذا أراد رجلٌ رؤية سجلات ذلك الحدث الذي أشرنا إليه سابقًا - هبوط يوليوس قيصر - فإنه يجد نفسه في لحظة لا ينظر إلى أي صورة، بل يقف على الشاطئ بين الفيلق، والمشهد بأكمله يُجسّد من حوله، تمامًا من جميع النواحي كما كان ليراه لو كان واقفًا هناك بجسده في ذلك الصباح الخريفي من عام 55 قبل الميلاد. ولأن ما يراه ليس سوى انعكاس، فإن الممثلين بطبيعة الحال لا يدركونه تمامًا، ولا يمكن لأي جهد منه أن يغير مسار أفعالهم ولو قليلاً، باستثناء قدرته على التحكم في وتيرة سير الدراما أمامه - يمكنه أن يتدرب على أحداث عام كامل أمام عينيه في ساعة واحدة، أو يمكنه في أي لحظة إيقاف الحركة تمامًا، ويحتفظ بأي مشهد معين كصورة طالما شاء. في الحقيقة، إنه لا يلاحظ فقط ما كان ليراه لو كان هناك في ذلك الوقت بجسده، بل أكثر من ذلك بكثير. إنه يسمع ويفهم كل ما يقوله الناس، وهو مدرك لجميع أفكارهم ودوافعهم؛ ومن أكثر الاحتمالات إثارة للاهتمام التي تُتاح أمام من تعلم قراءة السجلات دراسة فكر العصور الغابرة - فكر رجال الكهوف وسكان البحيرات، بالإضافة إلى الفكر الذي حكم الحضارات العظيمة في أطلانطس ومصر وكلدانيا. ويمكن بسهولة تصور ما تُتاح أمام الرجل الذي يمتلك هذه القدرة الكاملة من إمكانيات رائعة. إنه أمامه مجال بحث تاريخي بالغ الأهمية. فهو لا يكتفي بمراجعة كل ما نعرفه من تاريخ على مهل، مصححًا أثناء دراسته العديد من الأخطاء والمفاهيم الخاطئة التي تسللت إلى الروايات التي تناقلتها إلينا؛ يستطيع أيضًا أن يتجول بحرية في تاريخ العالم بأكمله منذ بدايته، متتبعًا التطور البطيء للعقل لدى الإنسان، وهبوط سادة اللهب، ونمو الحضارات العظيمة التي أسسوها.

ولا تقتصر دراسته على تقدم البشرية فحسب؛ فهو أمامه، كما في متحف، جميع أشكال الحيوانات والنباتات الغريبة التي احتلت المسرح في أيام شباب العالم؛ ويمكنه تتبع جميع التغيرات الجيولوجية الرائعة التي حدثت، ومراقبة مسار الكوارث الكبرى التي غيرت وجه الأرض مرارًا وتكرارًا.

في حالة خاصة، يمكن لقارئ السجلات أن يتعاطف مع الماضي بشكل أوثق. إذا اضطر في سياق بحثه إلى النظر إلى مشهد شارك فيه هو نفسه في ميلاد سابق، فيمكنه التعامل معه بطريقتين: إما أن ينظر إليه بالطريقة المعتادة كمشاهد (مع أنه سيظل دائمًا، كما هو مُتذكّر، كمشاهد يتمتع ببصيرة وتعاطف كاملين)، أو أن يتماهى مرة أخرى مع تلك الشخصية التي اندثرت منذ زمن بعيد - قد يلقي بنفسه مؤقتًا في تلك الحياة القديمة، ويختبر من جديد تمامًا أفكار ومشاعر وملذات وآلام ما قبل التاريخ. لا يمكن تصور مغامرات أكثر جرأة وحيوية من بعض تلك التي قد يمر بها؛ ومع ذلك، يجب ألا يفقد أبدًا وعيه بفرديته - يجب أن يحتفظ بالقدرة على العودة متى شاء إلى شخصيته الحالية.

كثيرًا ما يُسأل كيف يُمكن للباحث أن يُحدد بدقة تاريخ أي صورة من الماضي البعيد يستخرجها من السجلات. الحقيقة هي أن تحديد تاريخ دقيق قد يكون أحيانًا عملًا شاقًا، ولكن يمكن إنجازه عادةً إذا كان الأمر يستحق بذل الوقت والجهد. إذا كنا نتعامل مع العصر اليوناني أو الروماني، فإن أبسط طريقة عادةً ما تكون النظر إلى عقل الشخص الأكثر ذكاءً في الصورة، ومعرفة التاريخ الذي يفترضه؛ أو قد يراقبه المحقق وهو يكتب رسالة أو وثيقة أخرى ويلاحظ التاريخ، إن وُجد، المُدرج فيما كُتب. بمجرد الحصول على التاريخ الروماني أو اليوناني بهذه الطريقة، فإن اختزاله إلى نظامنا الزمني الخاص لا يعدو أن يكون مسألة حسابية.

طريقة أخرى تُعتمد كثيرًا في من الصعب أن ننتقل من المشهد قيد الدراسة إلى صورة معاصرة في مدينة عظيمة ومعروفة كروما، ونلاحظ الملك الذي يحكمها، أو من هم القناصل في ذلك العام؛ وعندما تُكتشف هذه البيانات، فإن نظرة سريعة على أي تاريخ جيد ستُعطينا الجواب. أحيانًا، يمكن تحديد التاريخ من خلال فحص إعلان عام أو وثيقة قانونية؛ في الواقع، في العصور التي نتحدث عنها، يُمكن التغلب على الصعوبة بسهولة.

70

لكن الأمر ليس بهذه البساطة على الإطلاق عندما نتعامل مع فترات أقدم بكثير من هذا - مع مشهد من مصر القديمة، أو بلاد الكلدان، أو الصين، أو بالعودة إلى ما هو أبعد من ذلك، من أطلانطس نفسها أو أي من مستعمراتها العديدة. لا يزال من السهل على أي رجل متعلم استنباط التاريخ، ولكن لم تعد هناك وسيلة لربطه بنظامنا الخاص للتواريخ، إذ سيحسب الرجل حسب عصور لا نعرف عنها شيئًا، أو حسب عهود الملوك الذين ضاع تاريخهم في ظلمة الزمان.

ومع ذلك، لم تُستنفد أساليبنا بعد. يجب أن نتذكر أنه من الممكن للباحث أن يمرر السجلات أمامه بأي سرعة يرغب فيها - بمعدل سنة في ثانية إن شاء، أو حتى أسرع بكثير. والآن، هناك حدث أو حدثان في التاريخ القديم حُددت تواريخهما بدقة - مثل غرق بوسيدونيس عام

9564 قبل الميلاد. لذلك، من الواضح أنه إذا بدا من المظهر العام للمحيط أن الصورة المرئية تقع على مسافة قابلة للقياس من أحد هذه الأحداث، فيمكن ربطها بهذا الحدث بعملية بسيطة تتمثل في مراجعة السجل بسرعة، وحساب السنوات الفاصلة بينهما أثناء مرورهما.

ومع ذلك، إذا وصلت هذه السنوات إلى ألف سنة، كما قد يحدث أحيانًا، فستكون هذه الخطة مملة للغاية. في هذه الحالة، نعود إلى المنهج الفلكي. ونتيجة للحركة التي تُسمى عادةً بمبادرة الاعتدالين، وإن كان من الأدق وصفها بأنها نوع من الدوران الثاني للأرض، فإن الزاوية بين خط الاستواء ومسار الشمس تتغير بثبات ولكن ببطء شديد. وهكذا، بعد فترات زمنية طويلة، نجد أن قطب الأرض لم يعد يشير إلى نفس النقطة في المجال الظاهري للسماء، أو بعبارة أخرى، نجمنا القطبي ليس، كما هو الحال حاليًا، نجم الدب الأصغر، بل جرم سماوي آخر؛ ومن هذا الموضع لقطب الأرض، والذي يمكن تحديده بسهولة من خلال المراقبة الدقيقة لسماء الليل في الصورة قيد الدراسة، يمكن حساب تاريخ تقريبي دون صعوبة.

عند تقدير تاريخ الأحداث التي وقعت قبل ملايين السنين في العصور السابقة، غالبًا ما تُستخدم فترة الدوران الثانوي (أو تقدم الاعتدالين) كوحدة، ولكن بالطبع لا تُشترط الدقة المطلقة عادةً في مثل هذه الحالات، فالأرقام التقريبية كافية لجميع الأغراض العملية في التعامل مع عصور بعيدة جدًا. ٧١

مع ذلك، لا ينبغي اعتبار القراءة الدقيقة للسجلات، سواءً لحياة المرء الماضية أو لحياة الآخرين، إنجازًا ممكنًا لأي شخص دون تدريب مسبق دقيق. وكما ذُكر سابقًا، فرغم إمكانية إجراء تأملات عرضية على المستوى النجمي، فإن القدرة على استخدام الحس العقلي ضرورية قبل إجراء أي قراءة موثوقة. في الواقع، لتقليل احتمالية الخطأ، يجب أن يكون هذا الحس تحت سيطرة الباحث تمامًا وهو يقظ في الجسد المادي؛ ولاكتساب هذه القدرة يتطلب سنوات من العمل الدؤوب والانضباط الذاتي الصارم.

يبدو أن الكثيرين يتوقعون أنه بمجرد توقيعهم على طلب الانضمام إلى الجمعية الثيوصوفية، سيتذكرون على الفور ثلاثة على الأقل من ميلادهم الماضي؛ بل إن بعضهم يبدأ على الفور في تخيل الذكريات ويعلن أنه في تجسده الأخير كان ماري ملكة اسكتلندا، أو كليوباترا، أو يوليوس قيصر! بالطبع، هذه الادعاءات المبالغ فيها تُسيء إلى سمعة من يُقدمون عليها بحماقة؛ ولكن للأسف، قد ينعكس بعض هذا الإساءة، وإن كان ظالمًا، على المجتمع الذي ينتمون إليه، لذا فمن يُثير في نفسه قناعة راسخة بأنه هوميروس أو شكسبير، أن يتوقف قليلًا ويطبق اختبارات المنطق السليم على المستوى المادي قبل نشر الخبر للعالم.

صحيح أن بعض الناس رأوا لمحات من حياتهم الماضية في أحلامهم، ولكن من الطبيعي أن تكون هذه الأحلام مجزأة وغير موثوقة. لقد مررتُ بنفسي في حياتي السابقة بتجربة من هذا

النوع. من بين أحلامي، وجدتُ حلمًا يتكرر باستمرار - حلمًا بمنزل ذي رواق يُطل على خليج جميل، ليس بعيدًا عن تلة يرتفع على قمتها مبنى أنيق. كنتُ أعرف ذلك المنزل جيدًا، وكنتُ على دراية بموقع غرفه ومنظر بابه تمامًا كما كنتُ على دراية بغرف منزلي في هذه الحياة. في تلك الأيام لم أكن أعرف شيئًا عن التناسخ، حتى أنه بدا لي إنها مصادفة غريبة أن يتكرر هذا الحلم بهذه الكثرة؛ ولم أكتشف إلا بعد انضمامي إلى الجمعية، عندما كان أحد العارفين يُريني صورًا لتجسدي الأخير، أن هذا الحلم الدائم كان في الواقع مجرد ذكرى جزئية، وأن المنزل الذي أعرفه جيدًا هو المنزل الذي وُلدتُ فيه منذ أكثر من ألفي عام.

72

ولكن على الرغم من وجود العديد من الحالات المسجلة التي انتقلت فيها مشاهد حاضرة في الذاكرة من حياة إلى أخرى، إلا أن تطورًا كبيرًا في القدرات الخفية ضروري قبل أن يتمكن الباحث من تتبع سلسلة التجسدات، سواءً كانت تجسده الخاص أو تجسد شخص آخر. سيتضح هذا إذا تذكرنا ظروف المشكلة التي يتعين حلها. لمتابعة شخص من هذه الحياة إلى الحياة التي سبقتها، من الضروري أولاً تتبع حياته الحالية رجوعاً إلى ولادته، ثم تتبع المراحل التي نزلت فيها الأنا إلى التجسد، بترتيب عكسي.

هذا سيعيدنا، بلا شك، إلى حالة الأنا في أعلى مستويات العقل؛ لذا، سيتضح أنه لأداء هذه المهمة بفعالية، يجب أن يكون الباحث قادراً على استخدام الحس المقابل لذلك المستوى الرفيع وهو يقظ في جسده المادي - بعبارة أخرى، يجب أن يتركز وعيه في الأنا المتجسدة نفسها، وليس في الشخصية الدنيا. في هذه الحالة، حين تُستثار ذكرى الأنا، تُنشر أمامه تجسيداته السابقة ككتاب مفتوح، وسيكون قادرًا، إن شاء، على فحص أحوال أنا أخرى على ذلك المستوى، وتتبع أثرها عبر الحياة العقلية والنجمية الدنيا التي قادت إليها، حتى وصل إلى الموت الجسدي الأخير لتلك الأنا، ومن خلالها إلى حياته السابقة.

لا سبيل إلا إلى تتبع سلسلة الأرواح بيقين مطلق؛ وبالتالي، يُمكننا فورًا أن ننحي جانبًا أولئك الذين يدّعون قدرتهم على مطاردة تجسيدات أي شخص في الماضي مقابل شلنات كثيرة للشخص الواحد، باعتبارهم محتالين واعيين أو غير واعيين.

وغني عن القول، إن عالم الباطن الحقيقي لا يُعلن، ولا يقبل أبدًا، تحت أي ظرف من الظروف، أي أموال مقابل أي عرض لقدراته. من المؤكد أن الطالب الذي يرغب في اكتساب القدرة على اتباع سلسلة من التجسيدات لا يمكنه تحقيق ذلك إلا بالتعلم من معلم مؤهل كيفية القيام بهذا العمل. هناك من أكدوا بإصرار على أنه من الضروري فقط أن يشعر الإنسان بالرضا والتفاني و"الأخوّة"، وأن كل حكمة العصور ستتدفق عليه فورًا؛ لكن قليلًا من المنطق السليم سيكشف فورًا سخافة هذا الموقف. مهما كان الطفل صالحًا، إذا أراد معرفة جدول

الضرب، فعليه أن يبدأ العمل ويتعلمه؛ والحالة مماثلة تمامًا للقدرة على استخدام الملكات الروحية. ستتجلى الملكات نفسها بلا شك مع تطور الإنسان، لكن لا يمكنه تعلم كيفية استخدامها بشكل موثوق ولأفضل فائدة إلا من خلال العمل الجاد والدؤوب والجهد المثابر.

خذ حالة أولئك الذين يرغبون في مساعدة الآخرين أثناء وجودهم على المستوى النجمي أثناء النوم؛ من البديهي أنه كلما زادت معرفتهم هنا، زادت قيمة خدماتهم على هذا المستوى الأعلى. على سبيل المثال، ستكون معرفة اللغات مفيدة لهم، فبينما يستطيع البشر على المستوى العقلي التواصل مباشرةً بنقل الأفكار، مهما كانت لغاتهم، فإن الأمر ليس كذلك على المستوى النجمي، إذ يجب صياغة الفكرة بدقة بالكلمات قبل أن تصبح مفهومة. لذلك، إذا كنت ترغب في مساعدة شخص ما على هذا المستوى، فيجب أن يكون لديك لغة مشتركة يمكنك من خلالها التواصل معه، وبالتالي كلما زادت معرفتك باللغات، زادت فائدتك. في الواقع، ربما لا يوجد نوع من المعرفة لا يمكن إيجاد استخدام له في عمل عالم الباطن.

من الجيد لجميع الطلاب أن يضعوا في اعتبارهم أن علم الباطن هو تأليه للحس السليم، وأن كل رؤية تأتي إليهم ليست بالضرورة صورة من السجلات الآكاشية، وليست كل تجربة وحيًا من السماء. من الأفضل بكثير أن نخطئ في جانب الشك السليم بدلًا من المبالغة في السذاجة؛ ومن القواعد الرائعة ألا نبحث أبدًا عن تفسير خفي لأي شيء عندما يتوفر تفسير مادي واضح وبسيط. واجبنا هو أن نسعى دائمًا للحفاظ على توازننا، وألا نفقد ضبط أنفسنا أبدًا، بل أن نتخذ وجهة نظر معقولة ومنطقية لكل ما قد يحدث لنا؛ وبذلك نكون ثيوصوفيين أفضل، وخبراء غيبيات أكثر حكمة، ومساعدين أكثر فائدة مما كنا عليه في أي وقت مضى.

كالعادة، نجد أمثلة على جميع درجات القدرة على رؤية ما في ذاكرة الطبيعة هذه، من الرجل المدرب الذي يمكنه الرجوع إلى السجل بنفسه متى شاء، وصولًا إلى الشخص الذي لا يحصل إلا على لمحات غامضة عرضية، أو ربما لم يحصل إلا على لمحة واحدة من هذا القبيل. لكن الرجل الذي يمتلك هذه القدرة جزئيًا فقط أحيانًا ما يجدها ذات أهمية بالغة. فالمقياس النفسي، الذي يحتاج إلى شيء متصل ماديًا بالماضي ليعيد الحياة إليه من حوله، ومراقب البلورات الذي يوجه أحيانًا تلسكوبه النجمي الأقل يقينًا إلى مشهد تاريخي من زمن بعيد، قد يستمدان أعظم متعة من ممارسة موهبتيهما، حتى وإن لم يفهما دائمًا كيفية إنتاج نتائجهما بدقة، وقد لا يسيطران عليها تمامًا في جميع الظروف.

في كثير من حالات المظاهر الدنيا لهذه القوى، نجد أنها تُمارس دون وعي؛ فكثير من مراقبي البلورات يشاهدون مشاهد من الماضي دون أن يتمكنوا من تمييزها عن رؤى الحاضر، وكثير من الأشخاص ذوي القدرات النفسية الغامضة يجدون صورًا تظهر باستمرار أمام أعينهم دون أن يدركوا أبدًا أنهم في الواقع يقيسون الأشياء المختلفة من حولهم نفسيًا عندما يلمسها أو يقف

بالقرب منها. من بين النماذج المثيرة للاهتمام لهذه الفئة من الوسطاء الروحانيين، الرجل القادر على قياس نفسية الأشخاص فقط، وليس الجمادات كما هو شائع. في معظم الحالات، تظهر هذه القدرة بشكل غير منتظم، بحيث يرى هذا الوسيط الروحاني، عند مقابلة شخص غريب، في لمحة سريعة حدثًا بارزًا في حياته السابقة، لكنه في مناسبات مماثلة أخرى لا يترك أي انطباع خاص. نادرًا ما نلتقي بشخص يرى رؤى تفصيلية عن حياة كل من يقابله في الماضي. ولعل أحد أفضل الأمثلة على هذه الفئة هو الكاتب الألماني زشوكه، الذي وصف في سيرته الذاتية هذه القدرة الاستثنائية التي امتلكها. يقول: "حدث لي أحيانًا في أول لقاء لي مع شخص غريب تمامًا، وأنا أستمع بصمت إلى حديثه، أن حياتي الماضية وحتى اللحظة الراهنة، مع العديد من الظروف الدقيقة المتعلقة بمشهد معين، قد بدت لي كحلم، ولكن بشكل واضح، لا إرادي تمامًا، وغير متعمد، مستغرقة بضع دقائق.

لطالما اعتدتُ على اعتبار هذه الرؤى العابرة خدعة من خدع الخيال - لا سيما وأن رؤيتي في الحلم أظهرت لي ملابس وحركات الممثلين، ومظهر الغرفة، والأثاث، وتفاصيل أخرى من المشهد؛ حتى في إحدى المرات، وفي مزاج رائع، رويت لعائلتي القصة السرية لخياطة غادرت الغرفة قبل قليل. لم أرَ هذه الشخصية من قبل. ومع ذلك، اندهش السامعون، وضحكوا، ولم يقتنعوا إلا بأن لديّ معرفة سابقة بحياة ذلك الشخص السابقة، بقدر ما كان ما ذكرته صحيحًا تمامًا.

"لم أقل دهشة عندما وجدت أن رؤيتي في الحلم تتفق مع الواقع. ثم أوليت الموضوع اهتمامًا أكبر، وكلما سمحت لي الظروف، رويت لمن سبقوني جوهر رؤيتي، لأحصل منهم على تناقضها أو تأكيدها.

وفي كل مرة، كان تأكيدها يتبع ذلك، لا يخلو من دهشة من جانب من رووها.

"في يومٍ جميل، دخلتُ إلى منزلَي فالدشوت برفقة شابَّين من حراس الغابات، لا يزالان على قيد الحياة. كان المساء، وإذ كنا متعبين من نزهتنا، دخلنا نُزُلًا يُدعى "الكرمة". تناولنا عشاءنا مع مجموعة كبيرة على مائدة عامة، عندما تصادف أنهم استمتعوا بغرابة وبساطة السويسريين فيما يتعلق بإيمانهم بالتنويم المغناطيسي، ونظام لافاتير الفسيولوجي وما شابه. أحد رفاقي، الذي تأثر كبرياؤه الوطني بسخريتهم، توسل إليّ أن أرد، وخاصةً ردًا على شاب ذي مظهر أنيق كان يجلس في الجهة المقابلة، وانغمس في سخرية جامحة.

"لقد تصادف أن أحداث حياة هذا الشخص قد مرت للتو في ذهني. التفت إليه متسائلاً عما إذا كان سيجيبني بصدق وصراحة إذا رويت له أكثر مقاطع حياته سرية، وهو أقل معرفة لي منه؟ هذا، كما اقترحت، يتجاوز مهارة لافاتير الفسيولوجية. وعدني أن أعترف بذلك صراحةً إذا قلت الحقيقة. ثم رويت الأحداث التي زودتني بها رؤياي، وعرف الإسطبل قصة حياة

التاجر الشاب، وسنوات دراسته، وهفواته، وأخيرًا، عن حيلة صغيرة ارتكبها على خزنة صاحب عمله. وصفت الغرفة المهجورة بجدرانها البيضاء، حيث وُضع على الطاولة، على يمين الباب البني، صندوق النقود الصغير، وما إلى ذلك. وقد تأثر الرجل بشدة، وأقر بصحة كل ظرف - حتى الظرف الأخير، وهو ما لم أتوقعه.

وبعد سرد هذه الحادثة، يواصل زشوكه الفاضل بهدوء التساؤل عما إذا كان، بعد كل هذه القوة المذهلة التي أظهرها مرارًا وتكرارًا، قد لا تكون دائمًا نتيجة مصادفة عابرة!

عدد قليل نسبيًا من روايات الأشخاص توجد في أدبيات هذا الموضوع قوى تمتلك هذه القدرة على النظر إلى الماضي، ولذلك قد يُفترض أنها أقل شيوعًا بكثير من الاستشراف، إلا أنني أظن أن الحقيقة هي أنها أقل شيوعًا في التعرف عليها. وكما ذكرتُ سابقًا، قد يحدث بسهولة أن يرى الشخص صورة من الماضي دون أن يدركها، إلا إذا كان فيها ما يلفت الانتباه، مثل شخصية ترتدي درعًا أو زيًا عتيقًا. كما قد لا يُدرك الاستشراف دائمًا على أنه كذلك في ذلك الوقت؛ لكن وقوع الحدث المُتوقع يُذكره بوضوح في نفس الوقت الذي يُظهر فيه طبيعته، لذا من غير المرجح إغفاله. لذلك، من المحتمل أن تكون اللمحات العرضية لهذه الانعكاسات النجمية للسجلات الآكاشية أكثر شيوعًا مما تُوحي به الروايات المنشورة.

الفصل الثامن. الاستبصار في الزمن: المستقبل

حتى لو شعرنا، ولو بشكل غامض، بقدرتنا على استيعاب فكرة أن الماضي بأكمله قد يكون حاضرًا في آنٍ واحد وبفاعلية في وعيٍ سامٍ بما فيه الكفاية، فإننا نواجه صعوبةً أكبر بكثير عندما نسعى إلى إدراك كيف يُمكن فهم المستقبل بأكمله في ذلك الوعي. لو كنا نستطيع الإيمان بعقيدة القسمة المحمدية، أو نظرية القدر الكالفينية، لكان المفهوم سهلًا بما فيه الكفاية، ولكن نظرًا لعلمنا بأن كليهما تحريفٌ بشعٌ للحقيقة، فعلينا البحث عن فرضيةٍ أكثر قبولًا.

قد لا يزال هناك من ينكر إمكانية التنبؤ، لكن هذا الإنكار يُظهر ببساطة جهلهم بالأدلة المتعلقة بهذا الموضوع. إن كثرة الحالات الموثقة لا تترك مجالاً للشك في صحة هذه الحقيقة، لكن كثيراً منها من طبيعة تجعل من الصعب إيجاد تفسير معقول لها. من الواضح أن الأنا تمتلك قدراً من القدرة على التنبؤ المسبق، ولو كانت الأحداث المتوقعة ذات أهمية بالغة، لكان من الممكن افتراض أن حافزاً استثنائياً مكّنه في تلك المناسبة فقط من ترك انطباع واضح عما رآه على شخصيته الدنيا. لا شك أن هذا هو تفسير العديد من الحالات التي يُتنبأ فيها بالموت أو الكارثة الجسيمة، ولكن هناك عدد كبير من الحالات المسجلة التي لا يبدو أن هذا ينطبق عليها، لأن الأحداث المتوقعة غالباً ما تكون تافهة وغير مهمة.

ستوضح قصة معروفة عن إعادة النظر في الأمور في اسكتلندا ما أقصده. فقد حذّر ناظر أعلى رجلاً لم يكن يؤمن بالغيبيات من اقتراب موت جاره. أُعطيت النبوءة بتفاصيل وفيرة، بما في ذلك وصف كامل للجنازة، مع أسماء حاملي النعش الأربعة وغيرهم ممن سيحضرون. يبدو أن المُدقّق قد ضحك من القصة برمتها ونسيها على الفور، لكن وفاة جاره المُتنبأ بها في ذلك الوقت أعادت إلى ذهنه التحذير، فقرر تزوير جزء من النبوءة على أي حال بأن يكون هو نفسه أحد حاملي النعش. نجح في ترتيب الأمور كما يشاء، ولكن ما إن بدأت الجنازة حتى طُلب منه مغادرة منصبه بسبب أمر بسيط لم يُؤخّره سوى دقيقة أو دقيقتين. وبينما كان يعود مُسرعًا، رأى بدهشة أن الموكب قد بدأ بدونه، وأن النبوءة قد تحققت تمامًا، لأن حاملي النعش الأربعة هم من أُشير إليهم في الرؤية.

إليكم الآن مسألة تافهة للغاية، لا يُمكن أن تكون ذات أهمية لأي شخص، مُتنبأ بها بالتأكيد قبل أشهر؛ ورغم أن الإنسان يبذل جهدًا دؤوبًا لتغيير الترتيب المشار إليه، فإنه يفشل تمامًا في التأثير عليه. من المؤكد أن هذا يشبه إلى حد كبير القدر، حتى في أدق تفاصيله، وفقط عندما ندرس هذه المسألة من منظور أسمى، نتمكن من إيجاد سبيلنا للهروب من تلك النظرية.
بالطبع، كما ذكرتُ سابقًا عن فرع آخر من الموضوع، لا يزال التفسير الكامل بعيد المنال، ومن الواضح أنه سيظل كذلك حتى تتسع معرفتنا بلا حدود مما هي عليه الآن؛ أقصى ما يمكننا أن نأمل به في الوقت الحاضر هو تحديد المسار الذي يمكن من خلاله إيجاد تفسير.

لا شك في أنه كما أن ما يحدث الآن هو نتيجة أسباب قائمة في الماضي، فإن ما سيحدث في المستقبل سيكون نتيجة أسباب قائمة بالفعل. حتى هنا، يمكننا أن نحسب أنه إذا تم القيام بأفعال معينة، فستتبعها نتائج معينة، لكن حساباتنا معرضة دائمًا للاضطراب بسبب تداخل عوامل لم نتمكن من أخذها في الاعتبار. لكن إذا ارتقينا بوعينا إلى المستوى الذهني، يُمكننا أن نرى نتائج أفعالنا على نحو أعمق بكثير.

يمكننا، على سبيل المثال، تتبع أثر كلمة عابرة، ليس فقط على الشخص الذي وُجهت إليه، بل من خلاله على كثيرين غيره، حيث تنتقل في دوائر متوسعة، حتى يبدو أنها أثرت على البلد بأكمله؛ ولمحة واحدة من هذه الرؤية أكثر فعالية بكثير من أي عدد من المبادئ الأخلاقية في إلزامنا بضرورة الحذر الشديد في الفكر والقول والفعل. لا يمكننا من هذا المستوى أن نرى نتيجة كل فعل بشكل كامل فحسب، بل يُمكننا أيضًا أن نرى أين وكيف ستتداخل نتائج أفعال أخرى تبدو منفصلة عنه تمامًا، وتُغيره. في الواقع، يُمكن القول إن نتائج جميع الأسباب في الوقت الحاضر ظاهرة بوضوح - وأن المستقبل، كما سيكون عليه الحال لو لم تظهر أسباب جديدة تمامًا، ينكشف أمام أعيننا. بالطبع، تنشأ أسباب جديدة، لأن إرادة الإنسان حرة؛ ولكن في حالة جميع الناس العاديين، يمكن حساب استخدامهم لحرية الإنسان مسبقًا بدقة كبيرة. فالإنسان العادي لديه إرادة حقيقية ضئيلة جدًا لدرجة أنه نتاج الظروف؛ حياته غير القابلة للتأثر تضعه وسط محيط معين، وتأثيرها عليه هو العامل الأهم في قصة حياته لدرجة أنه يمكن التنبؤ بمساره المستقبلي بيقين شبه رياضي. أما الإنسان المتطور، فالأمر مختلف؛ فبالنسبة له أيضًا تُرتب أحداث الحياة الرئيسية من خلال أفعاله الماضية، ولكن الطريقة التي سيسمح بها لها بالتأثير عليه، والطرق التي سيتعامل بها معها وربما ينتصر عليها - كل هذا خاص به، ولا يمكن التنبؤ به حتى على المستوى العقلي إلا كاحتمالات.

بالنظر إلى حياة الإنسان بهذه الطريقة من الأعلى، يبدو كما لو أن إرادته الحرة لا يمكن ممارستها إلا في أزمات معينة في حياته المهنية. يصل إلى نقطة في حياته حيث يكون من الواضح أن هناك مسارين أو ثلاثة مسارات بديلة مفتوحة أمامه؛ إنه حرٌّ تمامًا في اختيار ما يشاء منها، ومع أن من يعرف طبيعته جيدًا قد يشعر بأنه شبه متأكد من اختياره، فإن هذه المعرفة من جانب صديقه لا تُجبره بأي حال من الأحوال.

ولكن عندما يختار، عليه أن يُكمله ويتحمل العواقب؛ فبعد أن يسلك مسارًا معينًا، قد يُجبر، في كثير من الحالات، على الاستمرار مسافة طويلة جدًا قبل أن تتاح له أي فرصة للانعطاف. يشبه وضعه إلى حد ما وضع سائق القطار؛ فعندما يصل إلى تقاطع، قد تكون النقاط مُحددة إما في هذا الاتجاه أو ذاك، وبالتالي يمكنه الانتقال إلى أي خط يشاء، ولكن عندما ينتقل إلى أحدها، يُجبر على الاستمرار على طول الخط الذي اختاره حتى يصل إلى مجموعة أخرى من النقاط، حيث تُتاح له فرصة الاختيار مرة أخرى. الآن، بالنظر من منظور عقلي، ستكون نقاط

الانطلاق الجديدة هذه واضحة للعيان، وستُكشف لنا جميع نتائج كل خيار، مؤكدةً أنها ستُحل حتى بأدق التفاصيل. النقطة الوحيدة التي ستبقى غير مؤكدة هي النقطة الأهم المتعلقة بالخيار الذي سيتخذه الإنسان. في الواقع، سيكون لدينا، ليس مستقبل واحد، بل عدة مستقبلات مُخطط لها أمام أعيننا، دون أن نكون قادرين بالضرورة على تحديد أي منها سيتحقق. في معظم الحالات، سنرى احتمالات كبيرة لدرجة أننا لن نتردد في اتخاذ قرار، لكن الحالة التي وصفتها ممكنة نظريًا بالتأكيد. ومع ذلك، حتى هذه المعرفة الكبيرة ستمكننا من التنبؤ بأمان؛ وليس من الصعب علينا أن نتخيل أن قوة أعلى بكثير من قوتنا قد تكون قادرة دائمًا على التنبؤ بمسار كل خيار، وبالتالي التنبؤ بيقين مطلق. على المستوى البوذي، مع ذلك، لا حاجة لمثل هذه العملية المعقدة من الحساب الواعي، لأنه، كما ذكرتُ سابقًا، بطريقةٍ ما، لا يمكن تفسيرها هنا على الإطلاق، فإن الماضي والحاضر والمستقبل موجودون هناك في آنٍ واحد. لا يسع المرء إلا قبول هذه الحقيقة، لأن سببها يكمن في قدرة المستوى، والطريقة التي تعمل بها هذه القدرة العليا بطبيعتها غير مفهومة تمامًا للدماغ المادي. ومع ذلك، قد يصادف المرء بين الحين والآخر تلميحًا يبدو أنه يقربنا قليلًا من استحالة الفهم. أحد هذه التلميحات قدمه السير أوليف لودج في خطابه أمام الجمعية البريطانية في كارديف. قال: فكرةٌ مضيئةٌ ومفيدةٌ هي أن الزمن ليس سوى نمطٍ نسبيٍّ للنظر إلى الأشياء؛ فنحن نتقدم عبر الظواهر بوتيرةٍ محددة، وهذا التقدم الذاتي نُفسّره بطريقةٍ موضوعية، كما لو أن الأحداث تتحرك بالضرورة بهذا الترتيب وبهذه السرعة الدقيقة. ولكن قد يكون هذا مجرد نمطٍ واحدٍ للنظر إليها. قد تكون الأحداث، بمعنىً ما، موجودةً دائمًا، في الماضي والمستقبل، وقد نكون نحن من يصل إليها، وليست هي التي تحدث. تشبيه المسافر في قطار سكة حديد مفيد؛ لو لم يستطع مغادرة القطار أو تغيير سرعته، لربما اعتبر المناظر الطبيعية متتابعةً بالضرورة، ولم يستطع تصور وجودها معًا... لذلك، ندرك جانبًا رابعًا محتملًا للزمن، وقد يكون تدفقه الحتمي جزءًا طبيعيًا من قيودنا الحالية. وإذا أدركنا مرةً فكرة أن الماضي والمستقبل قد يكونان موجودين بالفعل، يُمكننا إدراك أنهما قد يكونان مؤثرين على جميع الأحداث الحالية، وقد يكون الاثنان معًا... تشكل "المستوى الأعلى" أو مجموع الأشياء التي، كما يبدو لي، نُدفع إلى البحث عنها، فيما يتعلق بتوجيه الشكل أو الحتمية، وعمل الكائنات الحية الموجهة بوعي إلى غاية محددة ومُدركة مسبقًا.

الزمن ليس في الواقع البعد الرابع على الإطلاق؛ ومع ذلك، فإن النظر إليه للحظة من هذا المنظور يُساعدنا ولو قليلاً على إدراك ما لا يُدرك. لنفترض أننا نمسك مخروطًا خشبيًا بزاوية قائمة على ورقة، وندفعه ببطء من خلال طرفه أولاً. ميكروب يعيش على سطح تلك الورقة، وليس لديه القدرة على إدراك أي شيء خارج ذلك السطح، لن يتمكن من رؤية المخروط ككل فحسب، بل لن يتمكن من تكوين أي تصور لمثل هذا الجسم على الإطلاق. كل ما سيرى هو الظهور المفاجئ لدائرة صغيرة، والتي ستكبر تدريجيًا وبطريقة غامضة حتى تختفي من عالمه فجأة وبطريقة غامضة كما دخلت إليه. وهكذا، فإن ما كان في الواقع سلسلة من أجزاء

المخروط سيبدو له مراحل متتالية في حياة الدائرة، وسيكون من المستحيل عليه استيعاب فكرة إمكانية رؤية هذه المراحل المتتالية في وقت واحد. ومع ذلك، فمن السهل علينا، بالطبع، ونحن ننظر إلى العملية من بُعد آخر، أن نرى أن الميكروب ببساطة واقع في وهم ناتج عن حدوده الخاصة، وأن المخروط موجود ككل طوال الوقت. ربما لا يختلف وهمنا فيما يتعلق بالماضي والحاضر والمستقبل، والنظرة التي نكتسبها لتسلسل الأحداث من المستوى البوذي تتوافق مع النظرة إلى المخروط ككل.

وبطبيعة الحال، فإن أي محاولة لفهم هذا الاقتراح تضعنا في سلسلة من المفارقات المذهلة؛ لكن الحقيقة تبقى حقيقة، وسيأتي الوقت الذي ستصبح فيه واضحة وضوح الشمس لفهمنا.

وعندما يتطور وعي التلميذ تمامًا على المستوى البوذي،

لذلك، يكون من الممكن له التنبؤ التام، على الرغم من أنه قد لا يكون - بل لن يكون بالتأكيد - قادرًا على جلب النتيجة الكاملة لهذه الرؤية إلى هذا النور بشكل كامل ومنظم. ومع ذلك، فمن الواضح أن قدرًا كبيرًا من الاستبصار الواضح في متناول يده، بغض النظر عن الطريقة التي يفضل ممارستها بها؛ وحتى عندما لا يمارسها، تظهر له ومضات متكررة من المعرفة المسبقة في حياته العادية، بحيث غالبًا ما يمتلك حدسًا فوريًا حول كيفية سير الأمور حتى قبل بدايتها.

82

وبدون هذه البصيرة التامة، نجد، كما في الحالات السابقة، أن جميع درجات هذا النوع من الاستبصار موجودة، بدءًا من الهواجس الغامضة العرضية التي لا يمكن بأي حال من الأحوال تسميتها بصيرة، وصولًا إلى الرؤية الثانوية المتكررة والكاملة نسبيًا. إن القدرة التي أُطلق عليها هذا الاسم الأخير -المضلل نوعًا ما- هي قدرة مثيرة للاهتمام للغاية، وستستحق دراسة أكثر دقة ومنهجية من أي وقت مضى.

ومن المعروف لدينا أنها امتلاك غير نادر لسكان المرتفعات الاسكتلندية، على الرغم من أنها لم تُؤكد لهم بأي حال من الأحوال. وقد ظهرت حالات عرضية منها في كل دولة تقريبًا، لكنها كانت دائمًا أكثر شيوعًا بين متسلقي الجبال والأشخاص الذين يعيشون حياة منعزلة. في إنجلترا، يُشار إليه غالبًا كما لو كان حكرًا على السلالة السلتية، ولكنه في الواقع ظهر بين شعوب مماثلة في جميع أنحاء العالم. يُقال، على سبيل المثال، إنه شائع جدًا بين فلاحي ويستفاليا. أحيانًا تتكون الرؤية الثانية من صورة تُنبئ بوضوح بحدث قادم؛ وربما في أغلب الأحيان، تُعطى لمحة المستقبل من خلال مظهر رمزي. تجدر الإشارة إلى أن الأحداث المتوقعة دائمًا ما تكون غير سارة - الموت هو الأكثر شيوعًا؛ لا أتذكر حالة واحدة أظهرت فيها الرؤية الثانية أي شيء لم يكن من أكثر الطبيعة كآبة. لها رمزية مروعة خاصة بها -

رمزية الأكفان وشموع الجثث، وغيرها من أهوال الجنائز. في بعض الحالات، يبدو أن الأمر يعتمد إلى حد ما على الموقع، إذ يُقال إن سكان جزيرة سكاي الذين يعانون من خلل في الرؤية غالبًا ما يفقدونها عند مغادرتهم الجزيرة، حتى لو كان ذلك للعبور إلى البر الرئيسي. موهبة البصر هذه وراثية أحيانًا في العائلة لأجيال، لكن هذه ليست قاعدة ثابتة، إذ غالبًا ما تظهر بشكل متقطع لدى أحد أفراد العائلة الذي لم يكن يعاني من تأثيرها الكئيب.

وقد سبق ذكر مثال على رؤية دقيقة لحدث قادم قبل أشهر من خلال الرؤية الثانية. وإليكم مثالًا آخر، وربما أكثر إثارة للدهشة، أذكره تمامًا كما رواها لي أحد الممثلين في المشهد. ٨٣

"انغمسنا في الغابة، وواصلنا السير لساعة تقريبًا دون جدوى تُذكر، عندما توقف كاميرون، الذي كان بجواري، فجأةً، شحب وجهه كالموت، وأشار أمامه مباشرةً، وصرخ بلهجةٍ من الرعب: "انظر! انظر! يا إلهي، انظر هناك."!

"أين؟ ماذا؟ ما هذا؟" صرخنا جميعًا في حيرة، بينما اندفعنا نحوه ونظرنا حولنا متوقعين مواجهة نمر - كوبرا - بالكاد عرفنا ما هو، ولكنه بالتأكيد شيءٌ فظيع، لأنه كان كافيًا لإثارة كل هذا الانفعال الواضح في رفيقنا المنعزل عادةً. لكن لم يكن هناك نمر ولا كوبرا - لا شيء سوى كاميرون يشير بوجهٍ شاحبٍ شاحبٍ وعيونٍ تحدّق في شيءٍ لم نستطع رؤيته.

"كاميرون! كاميرون!" صرختُ، ممسكًا بذراعه، "بحق السماء، تكلم!". ما الأمر؟ ما كادت الكلمات أن تخرج من فمي حتى سمعت صوتًا منخفضًا، لكنه غريب جدًا، وكاميرون، قرع يده التي كانت تشير إليه، وقال بصوت أجشّ متوتر: "ها قد سمعتَه؟ الحمد لله انتهى!" وسقط على الأرض فاقدًا للوعي.

"سادت حالة من الارتباك للحظة بينما كنا نفكّ ربطة عنقه، فسكبتُ على وجهه بعض الماء الذي لحسن الحظ كان في قارورتي، بينما حاول آخر سكب البراندي بين أسنانه المشدودة؛ وتحت غطاء ذلك همس للرجل الذي بجانبي (وهو بالمناسبة أحد أشدّ المتشككين لدينا): "بوتشامب، هل سمعت شيئًا؟."

"أجاب: نعم، صوت غريب جدًا؛ نوع من الارتطام أو الخشخشة من بعيد، ولكنه واضح جدًا؛ لو لم يكن الأمر مستحيلًا تمامًا، لأقسمتُ أنه خشخشة بندقية." همستُ: "هذا مجرد انطباعي، لكن اصمت! إنه يتعافى."

في غضون دقيقة أو دقيقتين، تمكن من التحدث بصوت خافت، وبدأ يشكرنا ويعتذر عن التسبب في إزعاجنا؛ وسرعان ما جلس متكئًا على شجرة، وقال بصوت حازم وإن كان منخفضًا:

"أصدقائي الأعزاء، أشعر أنني مدين لكم بتفسير لسلوكي غير العادي. إنه تفسير كنت سأتجنب تقديمه؛ ولكن لا بد أن يأتي في وقت ما، ومن الأفضل تقديمه الآن. ربما لاحظتم أنني عندما شاركتم جميعًا خلال رحلتنا في السخرية من الأحلام والنذير والرؤى، كنت دائمًا أتجنب إبداء أي رأي في الموضوع. فعلت ذلك لأنني، بينما لم أكن أرغب في السخرية أو إثارة النقاش، لم أستطع الموافقة عليكم، فأنا أعلم جيدًا من تجربتي المروعة أن العالم الذي يتفق الناس على تسميته عالم ما وراء الطبيعة هو حقيقي تمامًا - بل ربما أكثر واقعية بكثير - من هذا العالم الذي نراه حولنا. بعبارة أخرى، أنا، مثلي مثل العديد من أبناء بلدي، مصاب بلعنة البصيرة الثانية - تلك الموهبة الرهيبة التي تتنبأ في رؤياي، كوارث على وشك الوقوع.

"رأيتُ رؤيا كهذه للتو، وقد أثّر بي رعبها الاستثنائي كما رأيتَ. رأيتُ أمامي جثة - ليست جثة من مات ميتة طبيعية هادئة، بل جثة ضحية حادث مروع؛ كتلة مروعة، بلا شكل، بوجه منتفخ، مسحوق، لا يمكن التعرف عليه. رأيتُ هذا الشيء المروع موضوعًا في نعش، وتُقام عليه مراسم الجنازة. رأيتُ مقبرة الدفن، ورأيتُ رجل الدين؛ ورغم أنني لم أرَ أيًا منهما من قبل، إلا أنني أستطيع الآن أن أتخيلهما بوضوح تام في مخيلتي؛ رأيتُك، ورأيتُ نفسي، ورأيتُ بوشامب، وجميعنا، وكثيرين غيرنا، نقف حولنا كمعزّين؛ رأيتُ الجنود يرفعون بنادقهم بعد انتهاء المراسم؛ سمعتُ وابل الرصاص الذي أطلقوه - ثم انقطعت أخباري." بينما كان يتحدث عن وابل البنادق، ألقيتُ نظرةً خاطفةً على بوتشامب، ولم يكن من الممكن نسيان نظرة الرعب الحجرية على وجه ذلك المتشكك الوسيم.

هذه ليست سوى حادثة واحدة (وليست الحادثة الرئيسية بأي حال من الأحوال) في قصةٍ مثيرةٍ للاهتمام عن التجارب النفسية، ولكن بما أننا نهتم حاليًا فقط بمثال إعادة النظر الذي تقدمه لنا، فلا داعي للقول إلا إنه في وقتٍ لاحقٍ من ذلك اليوم، عثرت مجموعة من الجنود الشباب على جثة قائدهم في الحالة المروعة التي وصفها السيد كاميرون بوضوح. يتابع السرد: "في مساء اليوم التالي، وصلنا إلى وجهتنا، وبعد أن سجّلت السلطات المختصة إفاداتنا الحزينة، خرجنا أنا وكاميرون في نزهة هادئة، محاولين، بمساعدة تأثير الطبيعة المُهدئ، أن نُزيل شيئًا من الكآبة التي شلّتنا. فجأةً أمسك بذراعي، وأشار من خلال درابزين خشن، وقال بصوت مرتجف: "أجل، ها هي! هذه هي المقبرة التي رأيتها بالأمس". وعندما تعرّفنا لاحقًا على قسيس البريد، لاحظتُ، وإن لم يلاحظ أصدقائي، الارتعاش الذي لا يُكبَح الذي أمسك به كاميرون بيده، وعرفتُ أنه تعرف على رجل الدين الذي رآه. أما بالنسبة للسبب الخفي وراء كل هذا، فأفترض أن رؤية السيد كاميرون كانت حالةً من حالات الرؤية الثانية، وإذا كان الأمر كذلك، فإن حقيقة أن الرجلين اللذين كانا الأقرب إليه بوضوح (أحدهما بالتأكيد - وربما كلاهما - يلمسه بالفعل) شاركا فيها إلى حدٍّ محدودٍ لم يتجاوز سماع وابل الرصاص الختامي،

بينما لم يفعل الآخرون الذين لم يكونوا قريبين جدًا، تُظهر أن شدة تأثير الرؤية على الرائي أحدثت اهتزازاتٍ في عقله وجسده انتقلت إلى أولئك الذين كانوا على اتصال به، كما هو الحال في نقل الأفكار العادي. من يرغب في قراءة بقية القصة سيجدها في صفحات لوسيفر، المجلد .xx، صفحة ٤٥٧.

يمكن بسهولة جمع عشرات الأمثلة المشابهة. وفيما يتعلق بالتنوع الرمزي لهذه الرؤية، يُشاع بين من يمتلكونها أنه إذا رأوا عند لقاء شخص حي كفنًا شبحيًا ملفوفًا حوله، فهذا نذير مؤكد بوفاته. ويُشار إلى تاريخ الوفاة الوشيكة إما بمدى تغطية الكفن للجسم، أو بالوقت الذي تُرى فيه الرؤية؛ فإذا كانت في الصباح الباكر، لنفترض أن الرجل سيموت في نفس اليوم، ولكن إذا كان ذلك في المساء، فسيكون ذلك في وقت ما خلال عام.

هناك شكل آخر (ورائع) للشكل الرمزي للرؤية الثانية، وهو ظهور الشخص المُتنبأ بموته، بلا رأس، للرائي. يُذكر مثال على هذا النوع في كتاب "علامات ما قبل الموت" على أنه حدث في عائلة الدكتور فيرير، مع أن الرؤية في تلك الحالة، إن صحت ذاكرتي، لم تحدث إلا عند وقت الوفاة، أو قريبًا جدًا منها.

86

بالابتعاد عن الرائيين الذين يمتلكون بانتظام قدرة معينة، مع أن مظاهرها لا تكون تحت سيطرتهم الكاملة إلا في بعض الأحيان، فإننا نواجه عددًا كبيرًا من الحالات المنعزلة للرؤية المسبقة لدى أشخاص لا تكون هذه القدرة لديهم بأي حال من الأحوال قدرة منتظمة. ربما تحدث معظم هذه الحالات في الأحلام، مع أن أمثلة الرؤية اليقظة لا تغيب بأي حال من الأحوال. أحيانًا تشير الرؤيا إلى حدث ذي أهمية خاصة للرائي، فيبرر بذلك اجتهاد الأنا في التأثير عليه. وفي حالات أخرى، يكون الحدث بلا أهمية ظاهرة، أو لا يرتبط بأي شكل من الأشكال بالشخص الذي تأتيه الرؤيا. أحيانًا يتضح أن نية الأنا (أو الكيان المُبلّغ، أيًا كان) هي تحذير الذات الدنيا من اقتراب كارثة ما، إما لمنعها، أو، إن تعذر ذلك، للتخفيف من الصدمة بالاستعداد.

الحدث الذي يُنذر به غالبًا، ربما ليس من قبيل الصدفة، هو الموت - أحيانًا موت الرائي نفسه، وأحيانًا موت شخص عزيز عليه. هذا النوع من الرؤى شائع جدًا في أدبيات الموضوع، وموضوعه واضح جدًا، لدرجة أننا لا نحتاج إلى ذكر أمثلة عليه؛ لكن في حالة أو حالتين كانت فيهما الرؤية النبوية، وإن كانت مفيدة بوضوح، أقل قتامة، ستكون مثيرة للاهتمام للقارئ. ما يلي مُقتطف من ذلك الكنز لطالب الغرائب، من كتاب السيدة كرو "الجانب الليلي من الطبيعة"، صفحة 72.

"قبل بضع سنوات، حلم الدكتور واتسون، المقيم الآن في غلاسكو، أنه تلقى استدعاءً لرعاية مريض في مكان يبعد أميالًا عن مكان إقامته؛ وأنه انطلق على صهوة جواده، وأنه بينما كان يعبر أرضًا مُستنقعية، رأى ثورًا يهاجمه بشراسة، ولم ينجو من قرونه إلا باللجوء إلى مكان لا يصل إليه الحيوان، حيث انتظر طويلًا حتى جاء بعض الناس، الذين لاحظوا وضعه، لمساعدته وتحريره.

"بينما وصل الاستدعاء على الإفطار في صباح اليوم التالي، وابتسم للصدفة الغريبة (كما ظنها)، انطلق على صهوة جواده. كان جاهلاً تماماً بالطريق الذي عليه أن يسلكه، لكنه سرعان ما وصل إلى المستنقع الذي تعرف عليه، وظهر الثور فجأةً، قادماً نحوه بأقصى سرعته. لكن حلمه أراه ملجأه الذي توجه إليه على الفور، وهناك أمضى ثلاث أو أربع ساعات محاصراً بالحيوان، حتى أطلق سراحه أهل الريف. ويصرح الدكتور واتسون أنه لولا الحلم لما عرف إلى أين يهرب هرباً.

وهناك حالة أخرى، فصلت فيها فترة أطول بكثير بين التحذير وتحقيقه، ذكرها الدكتور ف. ج. لي، في لمحات من الخوارق، المجلد الأول، صفحة ٢٤٠.

"السيدة... حلمت هانا غرين، مدبرة منزل عائلة ريفية في أوكسفوردشاير، ذات ليلة أنها تُركت وحدها في المنزل مساء أحد، وأنها سمعت طرقًا على باب المدخل الرئيسي، فتوجهت إليه فوجدت متشردًا قبيح المنظر مسلحًا بهراوة، يُصر على اقتحام المنزل. ظنت أنها حاولت جاهدةً منعه، لكن دون جدوى، وأنه بعد أن ضربه وأفقده الوعي، تمكن من دخول القصر. استيقظت على هذا. وبما أن شيئًا لم يحدث لفترة طويلة، سرعان ما نُسيت ملابسات الحلم، وكما تؤكد هي نفسها، اختفت تمامًا من ذهنها. ومع ذلك، بعد سبع سنوات، تُركت هذه الخادمة نفسها مع خادمين آخرين لتولي مسؤولية قصر منعزل في كنسينغتون (الذي أصبح لاحقًا مقر إقامة العائلة في المدينة)، وفي مساء أحد ما، بعد أن خرج زملاؤها الخدم وتركوها وحدها، فوجئت فجأة بقرع قوي على الباب الأمامي.

فجأة، عادت إليها ذكرى حلمها السابق بوضوح فريد وقوة ملحوظة، وشعرت بعزلتها ووحدتها بشدة. وبناءً على ذلك، أشعلت على الفور مصباحًا على طاولة القاعة - وخلال ذلك تكرر الطرق القوي بقوة - واتخذت الاحتياطات اللازمة للصعود إلى منصة على النجمة وفتح النافذة؛ وهناك، ولشدة رعبها، رأت في جسدها الرجل نفسه الذي رأته في حلمها قبل سنوات، مسلحًا بالهراوة، ويطالب بالدخول.

بحضور ذهني كبير، نزلت إلى المدخل الرئيسي، وجعلت ذلك الباب والأبواب والنوافذ الأخرى أكثر أمانًا.

آمن، ثم قرع أجراس المنزل المختلفة بعنف، ووضع الأضواء في الغرف العلوية. واستنتج أن هذه الأفعال قد أخافت الدخيل.

88

من الواضح في هذه الحالة أيضًا أن الحلم كان ذا فائدة عملية، فبدونه، لكانت مدبرة المنزل الفاضلة، بلا شك، وبحكم العادة، قد فتحت الباب بالطريقة المعتادة استجابةً للطرق.

ومع ذلك، ليس الحلم وحده هو الذي يُؤثر فيه الأنا على ذاته الدنيا بما يراه مناسبًا لها. يمكن أخذ العديد من الأمثلة التي توضح ذلك من الكتب، ولكن بدلًا من الاقتباس منها، سأذكر حالة روثْها سيدة من معارفي قبل بضعة أسابيع فقط - وهي حالة، على الرغم من أنها لا تتضمن أي أحداث رومانسية، إلا أنها على الأقل تتميز بحداثتها. صديقتي، إذًا، لديها طفلان صغيران، وقبل قليل، أصيب أكبرهما (كما زُعم) بنزلة برد شديدة، وعانى لأيام من انسداد كامل في الجزء العلوي من أنفه. لم تُعر الأم اهتمامًا للأمر، متوقعةً أن يمر مرور الكرام، إلى أن رأت فجأةً في أحد الأيام ما وصفته بصورة غرفة، في وسطها طاولة ترقد عليها طفلتها فاقدة للوعي أو ميتة، وبعض الناس ينحنون فوقها. كانت أدق تفاصيل المشهد واضحة لها، ولاحظت بشكل خاص أن الطفلة ترتدي ثوب نوم أبيض، بينما كانت تعلم أن جميع الملابس التي ترتديها ابنتها الصغيرة من هذا النوع كانت وردية اللون. أثارت هذه الرؤية إعجابها بشكل كبير، وأوحت لها لأول مرة أن الطفلة قد تُعاني من شيء أكثر خطورة من نزلة برد، فأخذتها إلى المستشفى للفحص. اكتشف الجراح الذي عاينها وجود ورم خطير في أنفها، وقرر استئصاله. بعد بضعة أيام، نُقلت الطفلة إلى المستشفى لإجراء العملية، ووُضعت في الفراش. عندما وصلت الأم إلى المستشفى، وجدت أنها نسيت إحضار أحد فساتين نوم الطفلة، فاضطرت الممرضات إلى توفير واحد أبيض. وفي هذا الفستان الأبيض، أُجريت العملية للفتاة في اليوم التالي، في الغرفة التي رأتها والدتها في رؤياها، حيث تكررت جميع الظروف بدقة.

في جميع هذه الحالات، تحققت النبوءة، لكن الكتب مليئة بقصص التحذيرات التي أُهملت أو استُكشفت، وبالكارثة التي أعقبت ذلك. في بعض الحالات، تُعطى المعلومات لشخصٍ لا يملك عمليًا أي سلطة للتدخل في الأمر، كما في الحالة التاريخية عندما تنبأ جون ويليامز، مدير مناجم كورنيش، بأدق التفاصيل، قبل ثمانية أو تسعة أيام من وقوع الحادث، باغتيال السيد سبنسر بيرسيفال، وزير الخزانة آنذاك، في بهو مجلس العموم. وحتى في هذه الحالة، من الممكن أن يكون قد حدث شيء ما، فقد قرأنا أن السيد ويليامز كان متأثرًا للغاية لدرجة أنه استشار أصدقائه بشأن ما إذا كان ينبغي عليه الذهاب إلى لندن لتحذير السيد بيرسيفال. لسوء الحظ، ثَنوه، ووقع الاغتيال. لا يبدو من المرجح جدًا أنه، حتى لو ذهب إلى المدينة وروى قصته، لكان قد حظي باهتمام كبير؛ ومع ذلك، هناك احتمال ضئيل أن تكون بعض الاحتياطات

قد اتُخذت لمنع جريمة القتل. لا يوجد الكثير مما يُظهر لنا ما هو العمل المُحدد على المستويات العليا الذي أدى إلى هذه الرؤية النبوية الغريبة. كان الطرفان مجهولين تمامًا، لذا لم يكن سببها أي تعاطف وثيق بينهما. إذا كانت محاولة من أحد المُساعدين لتجنب الهلاك المُهدد، فمن الغريب ألا يُوجد شخصٌ ذو حساسية كافية أقرب من كورنوال. ربما صادف السيد ويليامز، وهو على المستوى النجمي أثناء نومه، هذا الانعكاس للمستقبل بطريقة ما، ولأنه شعر بالرعب بطبيعة الحال، نقله إلى عقله السفلي على أمل أن يُفعل شيء ما لمنعه؛ ولكن من المستحيل تشخيص الحالة على وجه اليقين دون فحص السجلات الآكاشية لمعرفة ما حدث بالفعل. من الأمثلة النموذجية على التنبؤات غير الهادفة على الإطلاق ما رواهُ السيد ستيد، في كتابه "قصص الأشباح الحقيقية" (صفحة 83)، عن صديقته الآنسة فرير، المعروفة باسم الآنسة إكس. أثناء إقامتها في منزل ريفي، كانت هذه السيدة في كامل وعيها، فشاهدت ذات مرة عربة يجرها حصان أبيض تقف عند باب القاعة، وعلى متنها شخصان غريبان، نزل أحدهما من العربة ووقف يلعب مع كلب من نوع تيرير. لاحظت أنه كان يرتدي زيًا رياضيًا، ولاحظت أيضًا آثار عجلات العربة الجديدة على الحصى. مع ذلك، لم تكن هناك عربة في ذلك الوقت؛ ولكن بعد نصف ساعة، وصل شخصان غريبان بعربة مماثلة، وتحققت كل تفاصيل رؤية السيدة بدقة. ويواصل السيد ستيد سرد مثال آخر على التنبؤات غير الهادفة بنفس القدر، حيث فصلت سبع سنوات (تسعون عامًا) بين الحلم (لأنه في هذه الحالة كان حلمًا) وتحقيقه.

كل هذه الأمثلة (وهي مجرد اختيارات عشوائية من بين مئات الأمثلة) تُظهر أن الأنا تمتلك بلا شك قدرًا معينًا من التنبؤ، ومن الواضح أن مثل هذه الحالات ستكون أكثر شيوعًا لولا الكثافة المفرطة وقلة الاستجابة في المركبات الدنيا لدى غالبية ما نسميه البشرية المتحضرة - وهي صفات تُعزى أساسًا إلى المادية العملية الفظة في عصرنا الحالي. لا أفكر في أي اعتناق للمادية على أنه أمر شائع، بل في حقيقة أن كل شخص تقريبًا في جميع الشؤون العملية للحياة اليومية يسترشد فقط باعتبارات المصلحة الدنيوية بشكل أو بآخر. في كثير من الحالات، قد تكون الأنا نفسها غير متطورة، وبالتالي تكون تنبؤاتها غامضة للغاية؛ وفي حالات أخرى، قد يرى هو نفسه بوضوح، لكنه قد يجد مركباته الدنيا غير قابلة للتأثر لدرجة أن كل ما ينجح في اختراقه إلى دماغه المادي قد يكون نذيرًا غير محدد لكارثة قادمة. مرة أخرى، هناك حالات لا يكون فيها الحدس من صنع الأنا إطلاقًا، بل من صنع كيان خارجي، يُبدي، لأسبابٍ ما، اهتمامًا وديًا بالشخص الذي ينتابه هذا الشعور. في العمل الذي اقتبسته آنفًا، يُخبرنا السيد ستيد عن اليقين الذي شعر به قبل أشهر عديدة بأنه سيُترك بدلًا من جريدة بال مال غازيت، وذلك لأنه من وجهة نظر عادية، لم يكن هناك ما يبدو أقل احتمالًا. يستحيل الجزم، دون تحقيقٍ دقيق، ما إذا كانت هذه المعرفة المسبقة نتيجة انطباعٍ من الأنا أو تلميحٍ وديٍّ من شخصٍ آخر، ولكن ثقته بها كانت مُبرَّرة تمامًا.

هناك نوعٌ آخر من الاستبصار في الزمن لا ينبغي أن يُترك دون ذكر. إنه نوعٌ نادرٌ نسبيًا، ولكن هناك أمثلةٌ كافيةٌ مسجلةٌ لجذب انتباهنا، مع أن التفاصيل المُقدَّمة، للأسف، لا تشمل عادةً ما نحتاجه لنتمكن من تشخيصه على وجه اليقين. أشير إلى الحالات التي شوهدت فيها جيوشٌ شبحية أو أسرابٌ من الحيوانات. في كتاب "الجانب الليلي من الطبيعة" (صفحة ٤٦٢ وما يليها)، لدينا رواياتٌ عن العديد من هذه الرؤى.

يُروى لنا كيف رأى أشخاصٌ مرموقون في حديقة هافاراه، بالقرب من ريبلي، مجموعةً من الجنود بزيٍّ أبيض، يبلغ عددهم عدة مئات، يمرّون بتطوراتٍ مختلفة ثم يختفون؛ وكيف شوهد جيشٌ مماثلٌ في جوار إنفرنيس قبل حوالي ٩١ عامًا، من قِبل مزارعٍ محترمٍ وابنه.

في هذه الحالة أيضًا، كان عدد القوات كبيرًا جدًا، ولم يكن لدى المشاهدين أدنى شكٍّ في البداية أنهم كانوا كائناتٍ بشريةً حقيقية. أحصوا ما لا يقل عن ستة عشر زوجًا من الصفوف، وكان لديهم متسعٌ من الوقت لملاحظة كل تفصيلة. سارت الصفوف الأمامية سبعةً في صفٍّ واحد، وكان برفقتهم عددٌ كبيرٌ من النساء والأطفال، الذين كانوا يحملون علبًا معدنيةً وأدوات طبخٍ أخرى. كان الرجال يرتدون ملابس حمراء، وأسلحتهم تلمع في الشمس. كان بينهم حيوان، غزال أو حصان، لم يستطيعوا التمييز بينهما، وكانوا يندفعون بعنف نحو الأمام بحاربهم.
لاحظ أصغر الرجلين للآخر أن الصفوف الخلفية تضطر بين الحين والآخر إلى الركض لتجاوز العربة؛ وأشار الأكبر، الذي كان جنديًا، إلى أن هذا هو الحال دائمًا، وأوصى به إذا خدم يومًا ما أن يحاول السير في المقدمة. كان هناك ضابط فارس واحد فقط؛ يمتطي حصان دراغون رمادي، ويرتدي قبعة مذهبة وعباءة هوسار زرقاء، بأكمام واسعة مفتوحة مبطنة باللون الأحمر. راقبه المتفرجان بدقة شديدة لدرجة أنهما قالا لاحقًا إنهما سيتعرفان عليه في أي مكان. ومع ذلك، كانا خائفين من التعرض لسوء المعاملة أو إجبارهما على مرافقة القوات، التي استنتجا أنها جاءت من أيرلندا، ورست في هينتاير؛ وبينما كانوا يتسلقون سدًا ليبتعدوا عن طريقهم، اختفى كل شيء.

لوحظت ظاهرة من نفس النوع في أوائل هذا القرن في بادربورن في وستفاليا، وشاهدها ما لا يقل عن ثلاثين شخصًا؛ ولكن بعد بضع سنوات، أُجريت مراجعة لعشرين ألف رجل في نفس المكان، فاستنتج أن الرؤية لا بد أنها نوع من الرؤية الثانية - وهي قدرة ليست نادرة في المنطقة.

ومع ذلك، تُرى مثل هذه الجحافل الشبحية أحيانًا في أماكن لا يمكن أن يكون جيش من الرجال العاديين قد سار فيها، سواء قبلها أو بعدها.

ومن أبرز روايات هذه الأشباح ما قدمته الآنسة هارييت مارتينو في وصفها للبحيرات الإنجليزية. كتبت ما يلي:

"هذا سوتر أو سوترا فيل هو الجبل الذي ظهرت عليه الأشباح بأعداد لا تُحصى، على فترات متقطعة خلال عشر سنوات من القرن الماضي، مُقدمةً نفس الظهور لستة وعشرين شاهدًا مُختارًا، ولجميع سكان جميع الأكواخ المُطلة على الجبل، ولمدة ساعتين ونصف في كل مرة - حيث يُغلق الظلام العرض الطيفي! الجبل، على ما يُذكر، مليء بالمنحدرات التي تتحدى أي زحف لأجساد الرجال؛ والجانبان الشمالي والغربي يمثلان عموديًا شديدًا يبلغ 900 قدم. في ليلة منتصف الصيف عام ١٧٣٥، رأى خادم مزرعة للسيد لانكستر، على بُعد نصف ميل من الجبل، الجانب الشرقي من قمته مُغطىً بقوات، واصلت مسيرتها المُتقدمة لمدة ساعة. جاؤوا، بأجسادٍ مُبهمة، من مرتفعٍ شماليٍّ واختفوا في كوةٍ في القمة. عندما روى الرجل المسكين قصته، أُهين من الجميع، كما يُقال عادةً للمراقبين الأصليين عندما يرون أي شيءٍ رائع. بعد عامين، وفي ليلة منتصف الصيف أيضًا، رأى السيد لانكستر بعض الرجال هناك، يبدو أنهم يتبعون خيولهم، كما لو كانوا عائدين من الصيد. لم يُفكر في هذا؛ لكنه نظر إلى الأعلى مجددًا بعد عشر دقائق، فرأى الأشخاص، وقد ركبوا الآن، وتبعهم صفٌّ لا نهاية له من القوات، خمسة في صفٍ واحد، يسيرون من المرتفع وعبر الشق كما كان من قبل. رأت العائلة بأكملها هذا، ومناورات القوة، كما كان ضابطٌ راكبٌ يُحافظ على نظام كل سرية، يركض هنا وهناك. ومع حلول ظلال الشفق، بدا التلميذ مُسترخيًا، واختلطت القوات، وساروا بخطواتٍ غير متساوية حتى اختفى الجميع في الظلام. وبالطبع، أُهين جميع آل لانكستر، كما أُهين خادمهم؛ لكن تبريرهم لم يتأخر طويلًا.

"في ليلة منتصف صيف عام ١٧٤٥ المخيف، رأى ستة وعشرون شخصًا، استدعتهم العائلة خصيصًا، كل ما رُئي من قبل، وأكثر.

تخللت العربات الآن القوات؛ وكان الجميع يعلم أنه لم تكن هناك، أو يُحتمل وجود، عربات على قمة ساوتر فيل. كان الحشد يفوق التصور؛ فقد ملأت القوات مساحة ميل، وسارت بسرعة حتى اختبأت في الليل - ما زالت تسير. لم يكن هناك أي شيء ضبابي أو غامض في ظهور الأشباح. بدت حقيقية لدرجة أن بعض الناس خرجوا في صباح اليوم التالي للبحث عن آثار حوافر الخيول؛ وكان من المروع بالنسبة لهم ألا يجدوا أثر قدم واحدة على الخلنج أو العشب. شهد الشهود على القصة كاملةً تحت القسم أمام القاضي؛ وكانت التوقعات التي عقدها الريف بأكمله بشأن الأحداث القادمة للثورة الاسكتلندية مخيفة. يتبين الآن أن شخصين آخرين شاهدا شيئًا من هذا القبيل في تلك الفترة، أي في عام ١٧٤٣، لكنهما أخفياه هربًا من الإهانات التي تعرض لها جيرانهما. رأى السيد رين، من ويلتون هول، وخادم مزرعته، في إحدى أمسيات الصيف، رجلًا وكلبًا على الجبل، يطاردان بعض الخيول على طول مكان شديد الانحدار لدرجة أن الحصان بالكاد يستطيع الوقوف عليه. كانت سرعتهما هائلة، واختفاؤهما

في الطرف الجنوبي من الوادي سريعًا جدًا، لدرجة أن السيد رين والخادم صعدا، في صباح اليوم التالي، للعثور على جثة الرجل الذي لا بد أنه قُتل. لم يعثرا على أي أثر لرجل أو حصان أو كلب؛ ونزلا وأمسكا ألسنتهما. وعندما تحدثا، لم يكونا في حال أفضل بكثير لوجود ستة وعشرين رفيقًا محلقًا في عارهما.

أما بالنسبة للتفسير، فقد قال محرر مجلة لونسديل أعلن (المجلد الثاني، الصفحة ٣١٣) أنه اكتُشف أنه في عشية منتصف صيف عام ١٧٤٥، كان المتمردون "يتدربون على الساحل الغربي لاسكتلندا، حيث انعكست تحركاتهم على شكل بخار شفاف، يشبه فاتا مورغانا". هذا ليس تفسيرًا كافيًا؛ ولكنه، على حد علمنا، كل ما يمكن الحصول عليه حاليًا. ومع ذلك، فقد كشفت هذه الحقائق عن المزيد؛ مثل المسير الطيفي من نفس النوع الذي شوهد في ليسيسترشاير عام ١٧٠٧، وتقليد زحف الجيوش على هيلفيلين، عشية معركة مارستون مور.

وهناك حالات أخرى ذُكرت فيها قطعان من الأغنام الطيفية على طرق معينة، وهناك بالطبع قصص ألمانية مختلفة عن مواكب شبحية للصيادين واللصوص.

في هذه الحالات، وكما يحدث غالبًا في التحقيق في الظواهر الخفية، هناك عدة أسباب محتملة، أي منها كافٍ تمامًا لإنتاج الأحداث المرصودة، ولكن في غياب معلومات أوفى، يكاد يكون من المستحيل القيام بأكثر من تخمين أي من هذه الأسباب المحتملة كان عاملاً في أي حالة معينة.

التفسير المقترح عادةً (عندما لا تُسخر القصة بأكملها باعتبارها كذبة) هو أن ما يُرى هو انعكاس سراب لحركات جسد وقوات حقيقية، تحدث في مسافة شاسعة. لقد رأيتُ بنفسي السراب العادي في مناسبات عديدة، وأعرف شيئًا عن قدراته الرائعة على الخداع؛ لكن يبدو لي أننا بحاجة إلى نوع جديد تمامًا من السراب، شكل مختلف تمامًا عما هو معروف علميًّا حاليًا، لتفسير هذه القصص عن الجيوش الوهمية، التي يغيب بعضها عن أنظار المشاهدين في غضون سنوات قليلة.

أولًا، قد تكون، كما هو واضح في حالة وستفاليا المذكورة آنفًا، مجرد أمثلة على التنبؤ على نطاق هائل - من رتبها، ولأي غرض، ليس من السهل التكهن. مرة أخرى، قد تنتمي غالبًا إلى الماضي بدلًا من المستقبل، بل يكون في الواقع انعكاسًا لمشاهد من السجلات الآكاشية - مع أن سبب وطريقة هذا الانعكاس غير واضحين هنا أيضًا.

هناك العديد من قبائل أرواح الطبيعة القادرة تمامًا، إن رغبت في ذلك لأي سبب، على إنتاج مثل هذه المظاهر بفضل قوتها الساحرة الرائعة (انظر الدليل الثيوصوفي، العدد الخامس، صفحة 86)، وهذا الفعل يتماشى تمامًا مع شغفهم بإثارة حيرة البشر وإثارة إعجابهم. أو قد يكون أحيانًا مقصودًا منهم تحذيرًا لأصدقائهم من أحداث يعلمون أنها على وشك الوقوع. يبدو

أن تفسيرًا كهذا سيكون الطريقة الأكثر منطقية لتفسير سلسلة الظواهر غير العادية التي وصفتها الآنسة مارتينو - أي إذا كان من الممكن الاعتماد على القصص التي رُويت لها. هناك احتمال آخر وهو أن ما اعتُبر في بعض الحالات جنودًا كان ببساطة أرواح الطبيعة نفسها تمر ببعض التطورات المنظمة التي تستمتع بها كثيرًا، مع أنه يجب الاعتراف بأن هذه نادرًا ما تكون ذات طابع يمكن الخلط بينها وبين المناورات العسكرية إلا من قِبل أكثر الناس جهلًا.

ربما تكون قطعان الحيوانات في معظم الحالات مجرد سجلات، ولكن هناك حالات تنتمي فيها، مثل "الصيادين المتوحشين" في القصص الألمانية، إلى فئة مختلفة تمامًا من الظواهر، وهي خارجة تمامًا عن موضوعنا الحالي. سيدرك دارسو علم الباطن أن الظروف المحيطة بأي مشهد من الرعب أو العاطفة الشديدة، مثل جريمة قتل مروعة للغاية، من الممكن أن تُعاد إنتاجها أحيانًا في شكل يتطلب تطورًا طفيفًا في القدرة النفسية للتمكن من رؤيته؛ وقد حدث أحيانًا أن شكّلت حيوانات مختلفة جزءًا من هذه البيئة، وبالتالي تُعاد إنتاجها دوريًا بفعل ضمير القاتل المذنب. (انظر الدليل الخامس، صفحة ١١٥).

لعلّ أي أساس واقعي تقوم عليه القصص المختلفة عن الفرسان الأشباح وقوات الصيد يُمكن إحالته عمومًا إلى هذه الفئة.

وهذا أيضًا، على ما يبدو، هو تفسير بعض رؤى الجيوش الشبحية، مثل إعادة تمثيل معركة إيدجهيل الرائعة التي يبدو أنها وقعت على فترات لعدة أشهر بعد تاريخ الصراع الحقيقي، كما شهد بذلك قاضي صلح ورجل دين وشهود عيان آخرون في كتيب معاصر غريب بعنوان "أصوات الحرب والمعركة المذهلة"، في إيدجهيل، بالقرب من كينتون، في نورثهامبتونشاير. وفقًا للكتيب، فقد حقق في هذه القضية آنذاك بعض ضباط الجيش، الذين تعرفوا بوضوح على العديد من الأشكال الشبحية التي رأوها. ويبدو هذا مثالًا واضحًا على قدرة غرائز الإنسان الجامحة على التكاثر، والتسبب بطريقة غريبة في نوع من تجسيد سجلهم.

في بعض الحالات، يتضح أن أسراب الحيوانات التي شوهدت لم تكن سوى جحافل من العناصر الاصطناعية القذرة التي تتخذ هذا الشكل لتتغذى على انبعاثات كريهة من أماكن مروعة بشكل غريب، مثل موقع المشنقة.

ومن الأمثلة على ذلك "أشباح جيب" الشهيرة، أو أشباح أكبرها، الموصوفة في "لمحات أخرى من العالم غير المرئي"، صفحة ١٠٩، حيث شوهدت مرارًا وتكرارًا على شكل قطعان من المخلوقات المشوهة الشبيهة بالخنازير، تندفع وتتجذر وتتقاتل ليلة بعد ليلة في موقع ذلك النصب التذكاري للجريمة البشعة. لكن هذه الأشياء تنتمي إلى موضوع الظهورات وليس إلى موضوع الاستبصار.

الفصل التاسع: أساليب التطوير

عندما يقتنع المرء بأهمية الاستبصار، يكون سؤاله الأول عادةً: "كيف يُمكنني تطوير هذه الموهبة الكامنة في كل شخص؟". والحقيقة أن هناك العديد من الأساليب التي يُمكن من خلالها تطويرها، ولكن هناك طريقة واحدة فقط يُنصح بها للاستخدام العام - وهي التي سنتحدث عنها أخيرًا. وقد نشأت هذه الموهبة بين أقل الأمم تقدمًا في العالم بطرق مُستهجنة؛ وبين بعض القبائل غير الآرية في الهند، باستخدام المخدرات المُسكرة أو استنشاق الأبخرة المُخدرة؛ وبين الدراويش، بالرقص في دوامة حماسية دينية جنونية حتى يُصابوا بالدوار وفقدان الإحساس؛ بين أتباع ممارسة عبادة الفودو البغيضة، من خلال تضحيات مخيفة وطقوس بغيضة من السحر الأسود. ولحسن الحظ، فإن مثل هذه الأساليب ليست رائجة في عصرنا، ومع ذلك، حتى بيننا، يتبنى عدد كبير من ممارسي هذا الفن القديم خطة ما للتنويم المغناطيسي الذاتي، مثل التحديق في نقطة مضيئة أو تكرار صيغة ما حتى الوصول إلى حالة من شبه التخدير؛ بينما تسعى مدرسة أخرى بينهم إلى الوصول إلى نتائج مماثلة باستخدام بعض الأنظمة الهندية لتنظيم التنفس.

جميع هذه الأساليب يجب إدانتها بشكل قاطع باعتبارها غير آمنة تمامًا لممارسة الرجل العادي الذي ليس لديه أدنى فكرة عما يفعله - والذي يقوم ببساطة بتجارب غامضة في عالم مجهول. حتى طريقة الحصول على الاستبصار من خلال السماح للشخص بأن يُسحر من قِبل شخص آخر هي طريقة يجب أن أتجنبها بنفسي بأقصى درجات الاشمئزاز؛ وبالتأكيد لا ينبغي أبدًا محاولة ذلك إلا في ظل ظروف من الثقة المطلقة والمودة بين الممغنط والممغنط، وكمال النقاء في القلب والروح، في العقل والنية، وهو ما نادرًا ما يُرى إلا لدى أعظم القديسين.

تُعد التجارب المتعلقة بالغيبوبة التنويمية ذات أهمية بالغة، لأنها تُتيح (من بين أمور أخرى) إمكانية إثبات حقيقة الاستبصار للمتشكك، ولكن باستثناء الظروف التي ذكرتها للتو - وهي ظروف، كما أعترف تمامًا، يكاد يكون من المستحيل إدراكها - لا ينبغي لي أبدًا أن أنصح أي شخص بأن يُخضع نفسه لها.

يقف التنويم المغناطيسي العلاجي (الذي يُبذل فيه جهد لتخفيف ألم المريض، أو إزالة مرضه، أو ضخ الحيوية فيه عن طريق التمريرات المغناطيسية، دون إدخاله في حالة الغيبوبة على الإطلاق) على أساس مختلف تمامًا؛ وإذا كان المُنَوِّم، حتى وإن لم يكن مُدرَّبًا تمامًا، يتمتع بصحة جيدة ويتحرك بنوايا نقية، فمن غير المُرجَّح أن يُلحق به أي ضرر. في حالةٍ مُتطرفة كحالة العملية الجراحية، يُمكن للمرء أن يُخضع نفسه بشكل معقول حتى للغيبوبة التنويمية، لكنها بالتأكيد ليست حالةً ينبغي للمرء أن يُجرِّبها باستخفاف. في الواقع، أنصح بشدة أي شخصٍ شرفني بطلب رأيي في هذا الموضوع، ألا يُحاول أي نوع من البحث التجريبي فيما لا

يزال بالنسبة له قوى الطبيعة غير الطبيعية، حتى يقرأ أولًا بعناية كل ما كُتب عن هذا الموضوع، أو - وهو الأفضل على الإطلاق - حتى يكون تحت إشراف مُعلِّم مُؤهَّل.

ولكن أين، كما سيُقال، يُمكن العثور على المُعلِّم المُؤهَّل؟ ليس، بكل تأكيد، بين من يُعلنون أنفسهم مُعلمين، يعرضون تعليم أسرار العصور المقدسة مقابل مبالغ طائلة، أو يُقيمون "حلقات تطوير" يُقبل فيها المتقدمون العرضيون برسوم رمزية.

لقد قيل الكثير في هذه الرسالة عن ضرورة التدريب المُتقن - وعن المزايا الهائلة للمُدرَّب على غير المُدرَّب؛ ولكن هذا يُعيدنا إلى السؤال نفسه - أين يُمكن الحصول على هذا التدريب المُحدد؟

الجواب هو أن التدريب يُمكن الحصول عليه تحديدًا حيث وُجد دائمًا منذ بداية تاريخ العالم - على يد جماعة المُريدين البيضاء العظيمة، التي تقف الآن، كما كانت دائمًا، في مؤخرة التطور البشري، تُرشده وتُساعده تحت سيطرة القوانين الكونية العظيمة التي تُمثل لنا إرادة الأبد.

ولكن، قد يُسأل، كيف يُمكن الوصول إليهم؟ كيف يُعبِّر طالب العلم المتعطش للمعرفة عن رغبته في التعلُّم؟

98

مرة أخرى، بالطرق التقليدية فقط. لا توجد براءة اختراع جديدة تُؤهِّل الإنسان دون عناء ليصبح تلميذًا في تلك المدرسة - ولا طريقًا ملكيًا للتعلم الذي يجب اكتسابه فيها. في يومنا هذا، كما في غياهب العصور القديمة، على من يرغب في جذب انتباههم أن يسلك طريق التطوير الذاتي البطيء والمرهق - أن يتعلم أولًا وقبل كل شيء أن يُمسك بزمام نفسه ويُصبح كل ما ينبغي أن يكون عليه. خطوات هذا الطريق ليست سرًا؛ لقد شرحتها بالتفصيل في كتاب "المساعدون الخفيون"، لذا لا داعي لتكرارها هنا. لكن الأمر ليس سهلًا.

طريقٌ يجب اتباعه، ومع ذلك، عاجلاً أم آجلاً، يجب على الجميع اتباعه، لأن قانون التطور العظيم يدفع البشرية ببطءٍ ولكن بثبات نحو هدفها. يختار الأساتذة العظماء تلاميذهم من بين أولئك الذين يسلكون هذا الطريق، ولا يمكن للمرء أن يضع نفسه في طريق تلقي التعليم إلا بتأهيل نفسه للتعلم. فبدون هذا التأهيل، لن تُسهم العضوية في أي محفل أو جمعية، سواءً أكانت سرية أم لا، في تحقيق هدفه على الإطلاق. صحيح، كما نعلم جميعاً، أن جمعيتنا الثيوصوفية تأسست بناءً على طلب بعض هؤلاء الأساتذة، وأن البعض من بين صفوفها اختير لتوثيق علاقاتهم بهم. لكن هذا الاختيار يعتمد على جدية المرشح، وليس على مجرد عضويته في الجمعية أو في أي فردٍ فيها. هذه، إذًا، هي الطريقة الوحيدة الآمنة تمامًا لتنمية الاستبصار - أن ينطلق المرء بكل طاقته في طريق التطور الأخلاقي والعقلي، حيث تبدأ هذه القدرات العليا

وغيرها من القدرات الأخرى بالظهور تلقائيًا. ومع ذلك، هناك ممارسة واحدة تنصح بها جميع الأديان على حد سواء - والتي إذا تم اتباعها بعناية وتبجيل لا يمكن أن تضر بأي إنسان، ومع ذلك فقد نشأ عنها أحيانًا نوع نقي جدًا من الاستبصار، وهي ممارسة التأمل.

فليختر الإنسان وقتًا معينًا كل يوم - وقتًا يمكنه فيه الاعتماد على الهدوء والسكينة، ويفضل أن يكون ذلك في النهار بدلًا من الليل - وليُخصص نفسه في ذلك الوقت لإبقاء عقله لبضع دقائق خاليًا تمامًا من جميع الأفكار الدنيوية من أي نوع، وعندما يتحقق ذلك، ليوجه كل قوة وجوده نحو أسمى مثال روحي يعرفه. سيجد أن اكتساب مثل هذا التحكم الكامل في الفكر أصعب بكثير مما يظن، ولكن عندما يبلغه، لا بد أن يكون ذلك مفيدًا له بكل الطرق، ومع ازدياد قدرته على الارتقاء بفكره وتركيزه، قد يجد تدريجيًا أن عوالم جديدة تنفتح أمام بصره.

كتدريب أولي نحو تحقيق هذا التأمل بشكل مُرضٍ، سيجد أنه من المستحسن أن يمارس التركيز في شؤون الحياة اليومية - حتى في أصغرها. إذا كتب رسالة، فليفكر في تلك الرسالة فقط حتى ينتهي منها؛ إذا قرأ كتابًا، فليحرص على ألا ينحرف فكره أبدًا عن معنى مؤلفه. يجب أن يتعلم ضبط عقله، وأن يكون مسيطرًا عليه أيضًا، وكذلك على عواطفه الدنيا؛ يجب عليه أن يجتهد بصبرٍ ليسيطر على أفكاره سيطرةً مطلقة، حتى يعرف دائمًا ما يفكر فيه بالضبط، ولماذا، حتى يتمكن من استخدام عقله، وتوجيهه أو كبحه، كما يوجه المبارز المتمرس سلاحه حيث يشاء.

ومع ذلك، لو استطاع أولئك الذين يرغبون بشدة في الاستبصار امتلاكه مؤقتًا ليوم أو حتى ساعة، فمن غير المؤكد أنهم سيختارون الاحتفاظ به. صحيحٌ أنه يفتح أمامهم آفاقًا جديدة من الدراسة، وقدرًا جديدًا من الفائدة، ولهذا السبب الأخير يشعر معظمنا بأنه يستحق العناء؛ ولكن يجب أن نتذكر أنه لمن لا يزال واجبه يدعوه للعيش في هذا العالم، فهو ليس نعمةً خالصةً. على من فيه

تلك الرؤية تفتح الحزن والبؤس والشر والجشع

العالم يضغط باعتباره عبئًا دائمًا، حتى الأيام الأولى من حياته

المعرفة أنه غالبًا ما يشعر بميل إلى ترديد الدعاء العاطفي

الواردة في تلك السطور المتداولة لشيلر:

warum warfest du mich hin ،Dein Orakel zu verkünden

In die Stadt der ewig Blinden, mit dem aufgeschloss’nen Sinn?

Frommt’s den Schleier aufzuheben, wo das nahe Schrecknis droht?

Nur der Irrthum ist das Leben؛ dieses Wissen ist der Tod.

Nimm, O nimm die traur'ge Klarheit mir vom Aug' den blut'gen Schein!

Schrecklich ist es deiner Wahrheit sterbliches Gefäss zu sein!

والتي ربما تُرجمت إلى: "لماذا ألقيتني هكذا في مدينة العميان، لأُعلن وحيك بحواسي المفتوحة؟ ما فائدة رفع الحجاب حيث يُهدد الظلام القريب؟ الجهل وحده هو الحياة، وهذه المعرفة هي الموت. استرجع هذا البصيرة الحزينة؛ وانزع من عينيّ هذا النور القاسي! إنه لأمرٌ فظيع أن أكون القناة الفانية لحقيقتك." ثم يصرخ مرة أخرى لاحقًا: "أعد إليّ عمي، ظلمة حواسي السعيدة؛ استرجع هديتك المروعة!" لكن هذا الشعور، بالطبع، عابر، لأن الرؤية الأسمى سرعان ما تُظهر للتلميذ شيئًا يتجاوز الحزن - سرعان ما تغرس في روحه اليقين الساحق بأنه، مهما بدت المظاهر هنا، فإن كل شيء يعمل معًا بلا أدنى شك لخير الجميع في نهاية المطاف. إنه يفكر في أن الخطيئة والمعاناة موجودان، سواء كان قادرًا على إدراكهما أم لا، وأنه عندما يراهما، يكون في النهاية أكثر قدرة على تقديم مساعدة فعّالة مما لو كان يعمل في اليوم.

rk؛ وهكذا يتعلم تدريجيًا تحمل نصيبه من كارما العالم الثقيلة.

هناك بشر مضللون، ممن حالفهم الحظ بامتلاك لمسة خفيفة من هذه القوة العليا، ومع ذلك يفتقرون تمامًا إلى أي شعور سليم تجاهها لدرجة أنهم يستخدمونها لأغراض دنيئة للغاية - حتى للترويج لأنفسهم كـ "مُبصرين للاختبار والأعمال!". وغني عن القول إن هذا الاستخدام لهذه القدرة هو مجرد بغاء وإهانة لها، مما يدل على أن صاحبها التعيس قد استحوذ عليها بطريقة ما قبل أن يتطور الجانب الأخلاقي من طبيعته بما يكفي لتحمل الضغط الذي تفرضه. إن إدراك مقدار الكارما الشريرة التي قد يولدها مثل هذا الفعل في وقت قصير جدًا يحوّل اشمئزاز المرء إلى شفقة على مرتكب تلك الحماقة التدنيسية التعيس. يُعترض أحيانًا على أن امتلاك القدرة على الاستبصار يُدمر كل خصوصية، ويمنح قدرة لا حدود لها على استكشاف أسرار الآخرين. لا شك أنه يمنح هذه القدرة، ومع ذلك، فإن هذا الاقتراح مُسلي لأي شخص لديه معرفة عملية بالموضوع. قد يكون لهذا الاعتراض ما يبرره فيما يتعلق بالصلاحيات المحدودة جدًا لـ"عراف الاختبار والأعمال"، لكن من يطرحه ضد من فُتحت لهم هذه القدرة في سياق تعليمهم، وبالتالي يمتلكونها بالكامل، ينسى ثلاث حقائق أساسية: أولًا، أنه من غير المعقول أن يكون لدى أي شخص، لديه مجالات بحث رائعة يفتحها الاستبصار الحقيقي، أدنى رغبة في التطفل على أسرار أي فرد؛ ثانيًا، حتى لو كان لدى عرافنا، بمحض الصدفة المستحيلة، فضولٌ غير لائقٍ تجاه مسائل الثرثرة التافهة، فهناك، في النهاية، شيءٌ يُسمى شرف الرجل، والذي، على هذا الصعيد كما على هذا الصعيد، سيمنعه بالطبع من التفكير

للحظةٍ في إشباعه؛ وثالثًا، في حال، بأي احتمالٍ غير مسبوق، قد يواجه المرء نوعًا من "البيتري" من الطبقة الدنيا الذين لا تُؤخذ الاعتبارات المذكورة أعلاه في اعتبارهم، تُعطى دائمًا تعليماتٌ كاملةٌ لكل تلميذ، بمجرد أن يُظهر أيَّ علامةٍ على القدرة، بشأن القيود المفروضة على استخدامها.

باختصار، هذه القيود هي أنه لن يكون هناك تطفل، ولا استخدامٌ أنانيٌّ للقوة، ولا عرضٌ للظواهر. أي أن الاعتبارات نفسها التي تحكم تصرفات رجلٍ ذي شعورٍ سليمٍ على الصعيد المادي يُتوقع أن تنطبق على الصعيدين النجمي والعقلي أيضًا؛ أن على التلميذ ألا يستخدم، تحت أي ظرف من الظروف، القوة التي تمنحه إياها معرفته الإضافية لتعزيز منفعته الدنيوية، أو حتى فيما يتعلق بالكسب بأي شكل من الأشكال؛ وأنه لا ينبغي له أبدًا أن يُجري ما يُسمى في الأوساط الروحية "اختبارًا" - أي أن يفعل أي شيء من شأنه أن يُثبت بشكل قاطع للمشككين على المستوى المادي أنه يمتلك ما قد يبدو لهم قوة غير طبيعية.

وفيما يتعلق بهذا الشرط الأخير، كثيرًا ما يقول الناس: "ولكن لماذا لا يفعل ذلك؟

سيكون من السهل جدًا دحض وإقناع المتشكك، وسيُفيده ذلك**!"**. يغفل هؤلاء النقاد حقيقة أنه، في المقام الأول، لا أحد من ذوي المعرفة يريد دحض أو إقناع المتشككين، أو أن يُزعج نفسه ولو قليلاً بشأن موقف المتشكك بطريقة أو بأخرى؛ وفي الثانية، يفشلون في فهم كم هو أفضل للمتشكك أن يتطور تدريجيًا إلى تقدير فكري لحقائق الطبيعة، بدلًا من أن يُعرَّف عليها فجأةً بضربة قاضية، كما لو كان الأمر كذلك. لكن الموضوع قد نُوقش باستفاضة منذ سنوات عديدة في كتاب السيد سينيت "العالم الخفي"، وغني عن إعادة الحجج التي ذُكرت هناك.

يصعب على بعض أصدقائنا إدراك أن الثرثرة السخيفة والفضول الفارغ اللذين يملآن حياة الأغلبية الغافلة على الأرض لا مكان لهما في حياة التلميذ الأكثر واقعية؛ ولذلك يتساءلون أحيانًا عما إذا كان من الممكن، حتى دون رغبة خاصة في الرؤية، أن يلاحظ العراف سرًا ما كان شخص آخر يحاول الاحتفاظ به، بنفس الطريقة التي قد تقع بها نظرة المرء على جملة في رسالة شخص آخر تصادف وجودها مفتوحة على الطاولة. بالطبع قد يحدث ذلك، ولكن ماذا لو حدث؟ سيُحوّل الرجل الشريف نظره فورًا، في الحالتين، وسيبدو الأمر كما لو أنه لم يرَ. لو استطاع المعترضون استيعاب فكرة أن لا تلميذ يهتم بشؤون الآخرين، إلا عندما يتعلق الأمر بمحاولة مساعدتهم، وأن لديه دائمًا مجالًا خاصًا به ليهتم به، لما كانوا بعيدين كل البعد عن فهم حقائق الحياة الواسعة للمستبصر المُدرّب.

حتى من القليل الذي ذكرته فيما يتعلق بالقيود المفروضة على التلميذ، سيتضح أنه في في كثير من الحالات، سيعرف أكثر بكثير مما يحق له قوله. وهذا صحيح بالطبع بمعنى أوسع بكثير بالنسبة لأساتذة الحكمة العظماء أنفسهم، ولهذا السبب يُقدّر أولئك الذين يتمتعون بامتياز الدخول

إليهم من حين لآخر كل هذا الاحترام لأبسط كلماتهم في مواضيع بعيدة كل البعد عن التعليم المباشر. فرأي أستاذ، أو حتى أحد تلاميذه الأعلى، في أي موضوع هو رأي رجل فرصته في الحكم الدقيق لا تتناسب إطلاقًا مع فرصتنا. إن مكانته وقدراته الواسعة هي في الواقع إرث البشرية جمعاء، ومع أننا قد نكون الآن بعيدين عن تلك القوى العظيمة، إلا أنها ستكون بالتأكيد ملكنا يومًا ما. ومع ذلك، كم سيختلف هذا العالم القديم عندما تمتلك البشرية ككل البصيرة العليا! تخيّل الفرق الذي سيُحدثه التاريخ عندما يستطيع الجميع قراءة السجلات؛ والعلم عندما يمكن مراقبة جميع العمليات التي يُنظّر عنها البشر الآن طوال مسارهم؛ إلى الطب، حين يرى الطبيب والمرضى على حد سواء بوضوح ودقة كل ما يُجرى؛ إلى الفلسفة، حين لا يعود هناك أي مجال للنقاش حول أساسها، لأن الجميع على حد سواء يستطيعون رؤية جانب أوسع من الحقيقة؛ إلى العمل، حين يكون كل عمل متعة، لأن كل إنسان لن يُكرّس إلا لما يُجيده؛ إلى التعليم، حين تكون عقول وقلوب الأطفال منفتحة على المعلم الذي يحاول تكوين شخصيتهم؛ إلى الدين، حين لا يعود هناك أي مجال للخلاف حول عقائده العامة، لأن حقيقة أحوال ما بعد الموت، والقانون الأعظم الذي يحكم العالم، ستكون جليةً للجميع.

وفوق كل شيء، كم سيكون من الأسهل حينها على البشر المتطورين أن يتعاونوا في ظل هذه الظروف الأكثر حرية. إن الإمكانيات التي تنفتح أمام العقل هي آفاقٌ رائعة تمتد في كل اتجاه، بحيث تكون جولتنا السابعة عصرًا ذهبيًا حقيقيًا. حسناً، لن تمتلك البشرية جمعاء هذه القدرات العظيمة إلا بعد أن تتطور إلى مستوى أعلى بكثير في الأخلاق والحكمة، وإلا فكّرنا مرة أخرى، في ظل ظروف أسوأ، في تكرار الانهيار المروع للحضارة الأطلنطية العظيمة، التي لم يُدرك أعضاؤها أن ازدياد القوة يعني ازدياد المسؤولية. ومع ذلك، كنا نحن معظم هؤلاء الرجال؛ فلنأمل أن نكون قد اكتسبنا الحكمة من هذا الفشل، وأنه عندما تُفتح لنا آفاق الحياة الأوسع أمامنا مرة أخرى، سنتحمل هذه المرة المحنة بشكل أفضل.

نهاية الكتاب